مجلة جامعة الملك سعود، م١٩، الآداب (٢)، ص ٢٨٩ – ٤٠١ (١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م)

القرآن الكريم في دوائر المعارف اليهودية

محمد الهواري

أستاذ الدراسات العبرية واليهودية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ١٤٢٧/٣/٢٧هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٧/٧/٢٢هـ)

ملخص البحث. ظهرت اتسمت معظم الدراسات الاستشراقية حول الإسلام بنزعة عدائية حاقدة هدفها الطعن والتشويه. فقد أدت الأكاذيب الملفقة حول الإسلام وحول الرسول عليه الصلاة والسلام إلى تكوين صورة للإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام لا علاقة لها بواقع الدين الإسلامي. وإذا كنا لا ننكر عدم خلو الاستشراق من خير وفضل على العلوم التي أسهم فيها بنقل المعرفة المجردة من الهوى، الخالية من التعصب الديني أو الأيديولوجي، فإننا نسجل هنا في نفس الوقت أن معظم الدراسات الاستشراقية التي تعرضت للإسلام بالدراسة، لم يكن هدفها رسم صورة مجردة وموضوعية عن الإسلام، ولم يقصد بها تمثيل الإسلام لليهودي والنصراني فحسب، بل كان الهدف منها أيضاً هو محاولة رسم صورة في أذهان المسلمين توضح لهم أن الإسلام ليس إلا صورة مشوهة وضالة لليهودية والنصرانية.

لقد أقبل اليهود – والنصارى أيضاً- على دراسة العلوم الإسلامية من منطلق إضعاف الإسلام، فاتبعوا أسلوب التشكيك في العقيدة الإسلامية، والتشكيك في القيم التي جاء بها الإسلام، وحاولوا إثبات فضلهم على المسلمين، وزعموا أن اليهودية هي المصدر الرئيس الذي نهل منه الإسلام كل أفكاره ومعتقداته. لقد كان القرآن الكريم هدفاً رئيساً لسهام المغرضين الحاقدين من المستشرقين،

ولم تتوقف محاولات تشويه الإسلام والعبث بالقرآن عند حد، فحاول الباحثون الغربيون، اليهود منهم والنصارى أيضاً، تحت ستار الاستشراق محاولة النيل من الإسلام وتشويهه وكانت إحدى أدواتهم في ذلك هي ترجمة القرآن الكريم، فضلاً عما كتبوه من كتب وأبحاث ومقالات تناولت القرآن الكريم وعلومه وموضوعاته وتفسيراته.

وقام المستشرقون اليهود بنشر أعمالهم باللغات المختلفة، فضلاً عن نشرها باللغة العبرية، وظهر بعضها على هيئة مجلدات ضخمة، ومؤلفات يشمل الواحد منها على أكثر من جزء، وكتب وتقارير، ومقالات وأبحاث أُلقيت في مؤتمرات وندوات، ونُشرت في مجلات أو دوريات علمية. ومنها ما نُشر في دوائر المعارف التي تعتبر من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في أبحاثهم. ونظراً لأهمية الوقوف على ما ورد في دوائر المعارف اليهودية من موضوعات تتناول الإسلام، خاصة ما كتبه المستشرقون اليهود والنصارى، ونظراً لمكانة القرآن الكريم في قلوب المسلمين، وضرورة الوقوف على كل ما يكتبه غير المسلمين فيما يتعلق بهذا الكتاب العظيم، رأينا دراسة ما كُتِب عن "القرآن الكريم" في دوائر المعارف اليهودية، معتمدين على نماذج منها كُتِبَت باللغتين العبرية والإنجليزية.

وقد تناولت دوائر المعارف اليهودية "القرآن الكريم" في عدد من النقاط، منها:

- كيفية نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، والوحي، وزمن نزوله حتى اكتمال آياته، وانقطاع الوحي.
- الله سبحانه وتعالى، وخلقه للإنسان والعالم.
- يوم الحساب الأخير، وهو البعث والنشور.
- جهنم وعذابها، والفردوس (جنة عَدْن) ونعيمها.
- علاقة القرآن الكريم باليهودية والنصرانية، والادعاء بوجود تأثير في قصص القرآن الكريم، من كتب اليهود والنصارى، خاصة العهد القديم والعهد الجديد،
- ترجمات القرآن للعبرية: على الرغم أن القرآن الكريم قد تُرْجِم إلى عدد كبير من اللغات، إلا أننا هنا سنركز على الترجمات العبرية التي ظهرت للقرآن الكريم، والتي قام بها اليهود، وما ورد بشأنها في دوائر المعارف اليهودية.

وسنتناول في هذه الورقة كيفية تناول دوائر المعارف اليهودية للقرآن الكريم، ونحاول وضع أيدينا على مواضع الطعن في الإسلام، والكشف عن التحريفات والمغالطات التي تناولها المتعصبون

والحاقدون من غير المسلمين، التي يكونوا قد أتوا ببعضها عن جهل، إلا أن معظمها دون شك قد وضعوه عن عمد.

مقدمـ ـ ـة

اتسمت معظم الدراسات الاستشراقية حول الإسلام بنزعة عدائية حاقدة هدفها الطعن والتشويه لهذا الدين وأتباعه من المسلمين أينما وُجِدوا، وأدت الأكاذيب الملفقة حول الإسلام ورسوله الكريم ﷺ، إلى تكوين صورة لا علاقة لها بواقع الدين الإسلامي. وإذا كنا لا ننكر عدم خلو الاستشراق من خير وفضل على العلوم التي أسهم فيها بنقل المعرفة المجردة من الهوى، الخالية من التعصب الديني أو الأيديولوجي، فإننا نسجل هنا في نفس الوقت أن معظم الدراسات الاستشراقية التي تعرضت للإسلام بالدراسة، لم يكن هدفها رسم صورة مجردة وموضوعية عن الإسلام، ولم يقصد بها تمثيل الإسلام لليهودي والنصراني فحسب، بل كان الهدف منها أيضاً هو محاولة رسم صورة في أذهان المسلمين توضح لهم أن الإسلام ليس إلا صورة مشوهة وضالة لليهودية والنصرانية.

لقد أقبل اليهود – والنصارى أيضاً- على دراسة العلوم الإسلامية من منطلق إضعاف الإسلام، فاتبعوا أسلوب التشكيك في العقيدة الإسلامية، والتشكيك في القيم التي جاء بها الإسلام، وحاولوا إثبات فضلهم على المسلمين، وزعموا أن اليهودية هي المصدر الرئيس الذي نهل منه الإسلام كل أفكاره ومعتقداته. لقد كان القرآن الكريم هدفاً رئيساً لسهام المغرضين الحاقدين من المستشرقين، ولم تتوقف محاولات تشويه الإسلام والعبث بالقرآن عند حد، فحاول الباحثون الغربيون، اليهود منهم والنصارى أيضاً، تحت ستار الاستشراق، النيل من الإسلام وتشويهه وكانت إحدى أدواتهم في ذلك هي ترجمة القرآن الكريم، فضلاً عما كتبوه من كتب وأبحاث ومقالات تناولت القرآن الكريم وعلومه وموضوعاته وتفسيراته.

وقام المستشرقون اليهود بنشر أعمالهم باللغات المختلفة، فضلاً عن نشرها باللغة العبرية، وظهر بعضها على هيئة مجلدات ضخمة، ومؤلفات يشمل الواحد منها على أكثر من جزء، وكتب وتقارير، ومقالات وأبحاث أُلقيت في مؤتمرات وندوات، ونُشرت في مجلات أو دوريات علمية. ومنها ما نُشر في دوائر المعارف التي تعتبر من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في أبحاثهم. ونظراً لأهمية الوقوف على ما ورد في دوائر المعارف اليهودية من موضوعات تتناول الإسلام، خاصة ما كتبه المستشرقون اليهود والنصارى، ونظراً لمكانة القرآن الكريم في قلوب المسلمين، وضرورة الوقوف على كل ما يكتبه غير المسلمين فيما يتعلق بهذا الكتاب العظيم، رأينا دراسة ما كُتِب عن "القرآن الكريم" في دوائر المعارف اليهودية، معتمدين على نماذج منها كُتِبَت باللغتين العبرية والإنجليزية.

وقد تناولت دوائر المعارف اليهودية "القرآن الكريم" في عدد من النقاط، منها:

١- كيفية نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ، والوحي، وزمن نزوله حتى اكتمال آياته، وانقطاع الوحي.

٢- جمع القرآن وتدوينه، وزمن التدوين.

٣- الله سبحانه وتعالى، وخلقه للإنسان والعالم.

٤- يوم الحساب الأخير، وهو البعث والنشور.

٥- جهنم وعذابها، وجنة عَدْن ونعيمها.

٦- علاقة القرآن الكريم باليهودية والنصرانية، والادعاء بوجود تأثير في قصص القرآن الكريم، من كتب اليهود والنصارى، خاصة العهد القديم والتلمود وكتب المدراشيم والعهد الجديد،

٧- ترجمات القرآن إلى اللغات المختلفة، وخاصة الترجمات العبرية.

وسنتناول في هذا البحث كيفية تناول دوائر المعارف اليهودية للقرآن الكريم، ونحاول وضع أيدينا على المواضع التي وقف عندها بعض المستشرقين من أعداء الإسلام للطعن فيها، والكشف عن الافتراءات والمغالطات التي يرددها المتعصبون والحاقدون من غير المسلمين. وإذا كنا نعتقد أن بعض المستشرقين قد وقعوا في أخطائهم عند تناولهم لآيات القرآن الكريم نتيجة الجهل وعدم الفهم لمعاني هذا الكتاب الكريم، فإننا نؤكد في نفس الوقت أن معظم هذه الأخطاء لم يأت دون قصد، بل تَعَمَّد أعداء الإسلام في وضعها من باب الطعن في الدين كله.

وقد وقع اختيارنا على خمس دوائر معارف يهودية، اثنان منها باللغة العبرية، وثلاث باللغة الإنجليزية، وجميعها من أهم دوائر المعارف والموسوعات اليهودية، ومن أكثرها شهرة وانتشاراً واستخداماً من قِبَل الباحثين والدارسين، اليهود وغير اليهود. وهي:

١- دائرة المعارف العبرية (ها إنسيكلوپيديا ها عِفْرِيت):

<u>האנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך שלושים, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ ירושלים תל- אביב, תשל"ח (1968), עמ" 50- 52.</u>

٢- دائرة معارف كنز إسرائيل (أُوتْسَار يِسْرائيل):

<u>אוצר ישראל, אנציקלופידיה לכל מקצועות תורת ישראל, ספרותו ודברי ימיו, בעשרה כרכים, ע"י העורך יהודה דוד אייזענשטיין, חלק תשיעי, לונדון: בהוצאת שאפירא ואלנטין ושותפיו, בשנת תרצ"ה לפ"ק (1935)، עמ" 150- 156.</u>

٣- دائرة المعارف اليهودية (چودايكا Judaica):

Encyclopaedia Judaica, Vol. 10, Encyclopaedia Judaica Jerusalem, 1972, (Item: KORAN), Col. 1194-1200.

٤- دائرة المعارف اليهودية الشاملة:

The Universal Jewish Encyclopedia [In Ten Volumes], Edited by Isaac Landman, Vol. 6, Universal Jewish Encyclopedia Co., INC.,: New York, 1942, (Item: KORAN), PP. 452-453.

٥- دائرة المعارف اليهودية:

The Jewish Encyclopedia, Vol. VII, Funk and Wagnalls Company: New York & London, 1916, (Item: KORAN), PP. 557-560.

تعريف القرآن لغة

للقرآن الكريم أسماء كثيرة، أشهرها "القرآن"، ومن أسمائه التي عُرِف بها: "الفرقان" (الفرقان ٢٥: ١)؛ لأنه فارق بين الحق والباطل، و"الكتاب" (الكهف ١٨: ١)؛ لأنه جامع للعلوم والقصص والأخبار، و"التنزيل" (فصلت ٤١: ٢، ٤٢) لنزوله من عند الله، و"الذِّكْر" (فصلت ٤١: ٤١؛ الزخرف ٤٣: ٤٤؛ الحجر ١٥: ٩)؛ لاشتماله على المواعظ والأوامر والنواهي. وهذه الأسماء الأربعة هي الأشهر بعد لفظ "القرآن"، وصارت أعلاماً بالغلبة على القرآن في لسان أهل الشرع وعُرفهم[١]. وقد غلب من أسمائه: "القرآن" و "الكتاب"؛ وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين، لا في موضع واحد، أي أنه يجب حفظه في الصدور والسطور

(١) محمد محمد أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ط ٣ (الرياض: دار اللواء، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ص ٢٢- ٢٣؛ - انظر: محمد إبراهيم الحفناوي، *دراسات في القرآن الكريم* (القاهرة: دار الحديث، د. ت.)، ص ص ٢٩- ٣٢؛ مَنَّاع القَطَّان، *مباحث في علوم القرآن*، ط ٣ (الرياض: مكتبة المعارف للنسر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ص ١٧- ١٨.

جميعاً[٢]. وهناك من عدَّ ما ليس باسم اسماً، حتى بلغ بها خمسة وخمسين اسماً[٣]، وبلغ بها البعض نيفاً وتسعين اسماً. وتجدر الإشارة إلى أن أغلب ما اعتبره البعض أسماء للقرآن، هو في الحقيقة أوصاف له، فعَدّوا من الأسماء، على سبيل المثال، لفظ "كريم" (الواقعة ٥٦ : ٧٧)، ولفظ "مُبَارَك" (الأنبياء ٢١ : ٥)، ومن الواضح أنهما وصفان للقرآن، وليسا اسمَيْن[٤].

يرى الإمام الشافعي أن "القرآن"، لغة، هو: اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى. ويرى بعض العلماء أنه مشتق، غير أنهم اختلفوا في مادة اشتقاقه. فيرى بعضهم أنه مشتق من "قرنت الشيء بالشيء"، إذا ضممت بعضه إلى بعض، وسُمِي به لقران السور والآيات فيه. وقيل: مشتق من القرائن، لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن. قاله الفراء. وقيل: لفظ "القرآن" وصف على فُعلان، مشتق من القَرْء بمعنى الجمع، سُمِي به كلام الله تعالى، قاله الزجاج. ومنه: قرأت الماء في الحوض، أي جمعته، قال ابن الأثير: تكرر في الحديث ذكر القراءة والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسُمِي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور، بعضها إلى بعض[٥].

---

(٢) القَطَّان، مباحث في علوم القرآن، ص ١٨.

(٣) أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ص ٢٢- ٢٣؛ - انظر: الحفناوي، *دراسات في القرآن الكريم*، ص ص ٢٩- ٣٢.

(٤) أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ٢٣؛- انظر: الحفناوي، *دراسات في القرآن الكريم*، ص ص ٢٩- ٣٢؛ القَطَّان، *مباحث في علوم القرآن*، ص ١٩.

(٥) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن – مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه،ط ١(بيروت/ دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ص ٤٥.

وقال اللحياني وجماعة: هو مصدر كالغُفران، سُمِي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. قال الله تعالى في شأن القرآن: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ❖ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة ٧٥: ١٧- ١٨)، أي قراءته، فجاءت الكلمة – القرآن – مصدراً مرادفاً للقراءة[٦]. ثم صار "القرآن" عَلَماً شخصياً على الكتاب الموحى به من الله، والمُنَزَّل على محمد بن عبد الله ﷺ. وهذا هو الاستعمال الأغلب[٧].

تعريف القرآن اصطلاحاً

قال أكثر العلماء في تعريف القرآن: "هو كتاب الله عز وجل، المُنَزَّل على خاتم أنبيائه محمد ﷺ بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة، إلى آخر سورة الناس"[٨]. وقالوا "هو الكلام المعجز، المُنَزَّل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته". وأوجزه بعضهم بقوله: "القرآن هو كلام الله تعالى، المُنَزَّل على محمد ﷺ، المتعبد بـتلاوته" [٩]. ويُسَمَّى القرآن الكريم بأسماء أخرى كثيرة من أشهرها: "الكتاب" و"الفرقان". وقد ورد اسم "الكتاب" في عدد من الآيات القرآنية الكريمة[١٠]. و"الفرقان"

---

(٦) زرزور، *علوم القرآن*، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، ص ص ٤٥ – ٤٦.

(٧) (سورة الإسراء ١٧: ٩). - زرزور، *علوم القرآن*، (١٤٠١هـ - ١٩١٨م)، ص ٤٦.

(٨) أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص ٦.

(٩) زرزور، علوم القرآن، (١٠٤١هـ - ١٩٨١م)، ص ٤٦.

(١٠) (البقرة ٢: ١- ٢)، (الكهف ١٨: ١)، (الشعراء ٢٦: ١- ٢). - - زرزور، علوم القرآن، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، ص ٥٠.

مصدر أُطلق على القرآن فصار عَلَماً عليه[١١]. والراجح أن هذا المصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل، أي أنه كلام فارق بين الحق والباطل[١٢].

تعريف القرآن في دوائر المعارف اليهودية

ورد في "دائرة المعارف العبرية" في تعريف القرآن، أنه (كتاب المسلمين المقدس. ويُفسَّر الاسم קוראן [القرآن] على أنه مثل קְרִיאָה "قراءة" أو "تلاوة"، أي أنه مشتق من الفعل קָרָא بمعنى "قرأ، تلا". وحسب العقيدة الإسلامية التقليدية والمألوفة، يعتبر القرآن هو المُتَضَمِّن لأقوال الله، وكان موجوداً في السماء منذ الأزل، ولكن محمد [ﷺ][١٣] تلقاه عن طريق الملاك جبريل، أي عن طريق الوحي. كما أن هناك معتقداً آخر يقول إن القرآن قد خُلِق وبرز إلى الوجود مع خلق العالم. أما الغرب فيرى أن القرآن هو ثمرة نتاج محمد [ﷺ] وهُوِيَّته)[١٤].

وفي "دائرة معارف كنز إسرائيل"، يُعَرَّف القرآن بأنه (كتاب شريعة الإسماعيليين الذي قدَّمَه لهم نبيهم محمد [ﷺ]. ومن ثم، أُطلِق على أتباعه اسم "المحمديون" أو

---

(١١) (آل عمران ٣: ٣- ٤)

(١٢) زرزور، علوم القرآن، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) ص ٥٠.

(١٣) تجدر الإشارة إلى أن المقالات الواردة عن *"القرآن"* في دوائر المعارف اليهودية موضوع الدراسة، لم يرد فيها، على الإطلاق، الصلاة على النبي الكريم أو السلام عليه، عند ورود اسمه أو صفته (صلاة الله وسلامه عليه) في أي سياق؛ وكل ما ورد في هذا البحث هو من وضع الباحث، حتى لو كانت الجملة أو الفقرة مقتبسة من النصوص الواردة في دوائر المعارف اليهودية.

(١٤) האנציקלופדיה העברית: כללית، יהודית וארצישראלית، כרך שלושים، (ירושלים תל- אביב: חברה להוצאת אנציקלופדיות، תשל"ח 1968)، עמ" 50.

"المسلمون". ويطلق على الكتاب اسم "قرآن" من "قرأ"، وهو ما يتطابق مع كلمة "مِقْرا" "מִקְרָא")[١٥].

ويبدو أن "دائرة معارف كنز إسرائيل"، في هذا الموضع، تشير إلى أن اسم "القرآن" مأخوذ من اسم "المِقْرَا"، وهو أحد أسماء كتاب العهد القديم، الكتاب المقدس عند اليهود، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاسم العبري "מִקְרָא" [المِقْرَا] لم يرد في أي موضع من أسفار العهد القديم للدلالة على أنه الكتاب المقدس عند اليهود، في حين نجد اسم "القرآن" قد ورد في الكثير من آيات هذا الكتاب الكريم[١٦]، وقُصِد به صراحة "الكلام المعجز، المُنَزَّل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته".

وتربط دائرة المعارف بين الاسم "القرآن" وبين "قرأ" و"القراءة"، (حيث إن المسلمين يقرأون ويتدبرون فيه آناء الليل وأطراف النهار، ويُعْتَبر عندهم كتاباً مقدساً. ويبلغ عدد المؤمنين به أكثر من مائتي مليون نسمة[١٧]. يحتوي القرآن على ١١٤ فقرة أو

---

(١٥) אוצר ישראל، אנציקלופידיה לכל מקצועות תורת ישראל، ספרותו ודברי ימיו، בעשרה כרכים، ע"י העורך יהודה דוד אייזענשטיין، חלק תשיעי (לונדון: בהוצאת שאפירא ואלנטין ושותפיו، תרצ"ה לפ"ק 1935)، עמ" 150.

(١٦) على سبيل المثال: (البقرة ٢ : ١٨٥)، (النساء ٤ : ٨٢)، المائدة ٥ : ١٠١)، (الأنعام ٦ : ١٩)، (الأعراف ٧: ٢٠٤)، (التوبة ٩: ١١١)، (يونس ١٠ : ٣٧)، (يوسف ١٢ : ٣)، ... وغيرها كثير.

(١٧) يبدو أن عدد المسلمين المشار إليه هنا مأخوذ من إحصاء قديم، وهو أقل بكثير من عددهم الآن. فعدد المسلمين في العالم الآن يزيد على المليار نسمة، وتقدره بعض الإحصاءات بنحو المليار والثلاثمائة مليون نسمة، وهم لا يعيشون جميعا في دول إسلامية بل إن عشرات الملايين منهم يعيشون كأقليات في دول ذات أغلبية من ديانات أخرى.

سورة). وتشير دائرة المعارف إلى أن الاسم "سورة"مأخوذ من كلمة סדרא: *Sĭdrā* بمعنى "فصل" أو שורה: *Shūrāh* بمعنى "سورة". وهذه السور، منها الطويل ومنها القصير، وترى دائرة المعارف، أنه لا يوجد رابط داخلي بين سور القرآن الكريم، بل إنها أحياناً لا يوجَد رابط بين أجزاء السورة الواحدة(١٨).

وتُعطينا "دائرة المعارف اليهودية جودايكا" تعريفاً بسيطاً للقرآن، فتقول إنه "الكتابات المقدسة الخاصة بالمسلمين"، ولكنها تعقد مقارنة بين كتاب المسلمين المقدس، والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، عند اليهود والمسيحيين. ففي حالة اليهودية والمسيحية، ترى أن الشريعة المقدسة المتمثلة في أسفار الكتاب المقدس هي خلاصة تطور ديني استغرق زمناً طويلاً، أما الإسلام، فإنه وُجِد منذ بدايته بوصفه ديناً مبنياً على أساس "كتاب"، هو القرآن. وكان الوعي النبوي حاضراً، دائماً ومنذ البداية، عند مؤسس الإسلام، محمد [ﷺ] عندما تصور القرآن كتاباً سماوياً مقدساً يحتوي على العلم كله والمعرفة، ويشتمل على خطة شاملة لتحقيق السعادة والرفاهية للبشر جميعاً، ومن خلاله يصدر الله أوامره ونواهيه وأحكامه بواسطة أنبيائه، فيعرف الإنسان كل ما يحتاج معرفته، وكل ما هو صالح له في كل زمان. وحسب اعتقاد محمد [ﷺ]، إن ما تُلِي عليه بواسطة الرب، أو بواسطة مَلاكِه، هو ما أطلق عليه اسم "القرآن"، أي "تلاوة" و"إلقاء" و"رواية". وفي الحقيقة، هناك اختلاف جوهري في سرد الروايات الواردة في القرآن، والروايات الواردة في الكتاب المقدس، فنجد المتكلم في كل سور القرآن هو الله، ولذا، يستشهد المسلمون دائماً بآيات هذا الكتاب بوصفها "كلمة الله"، فيقولون: "قال الله

(١٨) אוצר ישראל، עמ" 150؛
Encyclopaedia Judaica, Vol. 10, (Jerusalem: Encyclopaedia Judaica, 1972), Item: KORAN, Col. 1195,

تعالى: ..."، وهذا يختلف مع الأسلوب التلمودي، والصيغ المتكررة الواردة في التوراة، حيث ترد كثيراً جملة "وقال الرب ..." و "وكَلَّم الله ..."[(١٩)].

وتقول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة"[(٢٠)] إن الإسلام، دين "المحمديين"[(٢١)]، مثله مثل معظم الأديان العظمى، مَبْنِيّ على أساس كتاب مقدس، ينظر إليه أتباعه على أنه وحي إلهي أو سماوي. واسم كتاب الإسلام الرئيس هو "القرآن"، ويعني "القراءة بصوت عال، أو القراءة جهاراً وليس همساً"، ويعني "التلاوة" أيضاً.

---

(١٩) Encyclopaedia Judaica, Col. 1194 - 1195

وردت كثيراً في أسفار التوراة الصيغ أو الجمل التالية: "וַיְדַבֵּר יְהוָה ..." بمعنى "وكلَّم الربُ ..." (الخروج ٦: ١٠، ١٣، ٢٨؛ اللاويين ٦: ١؛ ٧: ٢٢)، و"וַיֹּאמֶר יְהוָה ..." بمعنى "وقال الرب ..." (التكوين ٤: ٦؛ الخروج ٦: ١؛ ١٤: ١٥، ٢٦)، و"וַיְדַבֵּר אֱלֹהִים ..." بمعنى "وكَلَّم الله ..." (الخروج ٦: ٢) و"וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים..." بمعنى "وقال الله ..." (التكوين ١: ٣، ٦، ٩) و"וַיֹּאמֶר יְהוָה אֱלֹהִים..." بمعنى "وقال الرب الإله ..." (التكوين ٢: ١٨؛ ٣: ١٣) و"וַיִּקְרָא יְהוָה אֱלֹהִים..." بمعنى "فنادى الرب الإله ..." (التكوين ٣: ٩). ونجد مثل هذه الصيغ أو الجمل تتكرر في التلمود، فوردت جملة "וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים..." بمعنى "وقال الله ..." على سبيل المثال في (سيدر زراعيم، مسيخت براخوت ١٣أ؛ سيدر موعيد، مسيخت روش هَشَّناه ١١أ؛ سيدر موعيد مسيخت حَجيجا ١٢أ).

(٢٠) The Universal Jewish Encyclopedia, Edited by Isaac Landman, Vol. 6, (New York: Universal Jewish Encyclopedia Co., INC., 1942), Item: KORAN, P. 452.

(٢١) اعتاد المستشرقون على إطلاق اسم "المحمديون" (Mohammeddans) عند الإشارة إلى المسلمين، وهي كلمة منسوبة إلى "محمد" اسم رسول الإسلام محمد ﷺ، وأطلقوا اسم "المحمدية" أو الديانة المحمدية" (Mohammeddism) عند إشارتهم إلى الإسلام، وهي أسماء يرفضها المسلمون ويبغضونها، لأن فيها يتجسد فكر هؤلاء المستشرقين الذين يعتقدون أن هذا الدين جاء به محمد ﷺ، وليس من عند الله سبحانه وتعالى.

وتُعَرِّف "دائرة المعارف اليهودية"، القرآن، ببساطة، بأنه "الكتابات المقدسة للإسلام"، وتقول إنه وفقاً للعقيدة "المحمدية"، المبنية على أساس شهادة الكتاب نفسه، يتكون القرآن من إلهامات، أو مسائل مختلفة موحى بها، منحها الله لمحمد [ﷺ] بواسطة الملاك جبريل (البقرة ٢: ٩٧؛ الفرقان ٢٥: ٣٢)[٢٢]. وقد أنزلَت هذه الإلهامات والكلمات الموحى بها باللغة العربية (الشعراء ٢٦: ١٩٥)[٢٣]، وبالتالي يكون القرآن قد نزل، في المقام الأول، للعرب، الذين لم يتلقوا قبل ذلك أي تجَلٍّ لإرادة الله (سبأ ٣٤: ٤٤)[٢٤]. وقد أُعِدّت آياته أيضاً لكي تُصَدِّق على ما ورد في أسفار التوراة والأناجيل الـتي

---

(٢٢) تجدر الإشارة إلى ظاهرة لافتة للانتباه، متمثلة في الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها كاتبو المقالات الواردة في دوائر المعارف اليهودية موضوع الدراسة، والمتعلقة بتحديد أرقام الآيات ومواضعها في القرآن الكريم، عندما يستشهدون بها، سواء ذكروا رقم السورة والآية فقط، أو أتوا بترجمة معاني هذه الآيات، مما جعلنا نهتم بتحقيق رقم الآيات، وتصويب الخطأ فيها، والإشارة إلى ذلك في هوامش البحث. ولم يقتصر الأمر على شواهد القرآن الكريم، بل إن كثيراً من الأخطاء قد وقعت أيضاً في هذه المقالات، عند تحديد مواضع فقرات العهد القديم.

فهنا، ترد الشواهد بأرقام: (٢: ٩١؛ ٢٥: ٣٤)، ولكن المقصود هو الإشارة إلى قول الله تعالى: "قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" (البقرة ٢: ٩٧)؛ "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا" (الفرقان ٢٥: ٣٢). وقد أثبتنا الصواب بالمتن.

(٢٣) "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ" (الشعراء ٢٦: ١٩٥).

(٢٤) يوجد خطأ في رقم الشاهد، حيث ورد في دائرة المعارف: (٣٤: ٤٣)، والصواب هو: (سبأ ٣٤: ٤٤) الذي أثبتناه في المتن.

سبقته، وتهدي الجنس البشري إلى الطريق القويم (آل عمران ٣: ٣- ٤)(٢٥). وتؤكد آيات القرآن الكريم على أن محمداً هو رسول الله (البينة ٩٨: ٢)(٢٦)، وأنه خاتم الأنبياء (الأحزاب ٣٣: ٤٠)(٢٧). وتقول دائرة المعارف، إنه في مطلع حياة هذا الرجل غير العادي – وتقصد به رسول الله ﷺ- الذي يمكن للمرء تَتَبُّع نشأته وتطوره من خلال مُدَوَّنات لا يُوثَق بها، وغير جديرة بالتصديق، كان يخلو بنفسه في عزلة اختيارية. وهناك، وخلال صلواته الليلية وصيامه، كانت تنتابه حالة من الغشيان، يغيب فيها عن الناس وعما حوله، وتتمخض عما يخبر به أنه وحي إلهي، وعندئذ كان عليه أن يُخْبِر رفاقه بأن حكماً إلهياً على وشك الحدوث(٢٨).

مكانته في الإسلام

قال رسول الله ﷺ: "إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قيل: فما النجاة منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأُ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو فصل ليس بالهزل، من تركه تجبراً قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو

(٢٥) وردت إشارة غير دقيقة إلى الشاهد (٣: ٢ وما بعدها)، والصواب: "نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ❖ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ" (آل عمران ٣: ٣- ٤).

(٢٦) "رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً" (البينة ٩٨: ٢).

(٢٧) "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" (الأحزاب ٣٣: ٤٠).

(٢٨) The Jewish Encyclopedia, Vol. VII, (New York & London: Funk and Wagnalls Company, 1916), Item: KORAN, PP. 557-558.

الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملّه الأتقياء، من علم علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم"(٢٩).

تقول "دائرة المعارف العبرية" إن القرآن احتل منذ البداية مكاناً رئيساً داخل بؤرة اهتمام كل المسلمين. وقد اعتبره المسلمون أنه تام وكامل من حيث محتواه، ولغته، وأسلوبه، حتى أن ذلك قد أفشل أية محاولة لمحاكاته. ويشهد كمال القرآن وتمامه على ارتباط القرآن بمصدره، أي ارتباطه بالله. وبسبب هذه القدسية "لا يَمَسَّه إلا المطهرون"(٣٠). وقد كُتِبَت عدة تفسيرات تناولت كل صغيرة وكبيرة في القرآن. وقد أدت الحاجة إلى تفسير كثير من مواضع الغموض بداخله، إلى تطور النحو والصرف؛ وقد تمسكت فرق دينية – سياسية، وتيارات المتكلمين، بنص أو آخر ليبنوا عليه مصداقية مزاعمهم؛ وقد وجد الصوفية في القرآن معان عميقة وخفية وراء تفسيره الحرفي(٣١).

الوحي مصدر للقرآن

تمثل ظاهرة الوحي مبدأ اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة، كما يمثل الوحي، مصدر المعرفة الإنسانية عن عالم الغيب، في حين يشكل العقل – والحواس – مصدر هذه المعرفة عن عالم الشهادة. وتجدر الإشارة إلى أن الإيمان بعالم الغيب ليس خارجاً عن

---

(٢٩) انظر ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة في *فضل القرآن المجيد*، في: آرثر جفري، مقدمتان في علوم القرآن وهما *مقدمة كتاب المباني ومقدمة أبي عطية* (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٤م)، ص ٢٥٦.

(٣٠) [إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ❖ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ❖ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ] (الواقعة ٥٦: ٧٧- ٧٩).

(٣١) האנציקלופדיה העברית، עמ" 52.

نطاق القدرة العقلية، فضلاً عن أن يكون فيه مناقضة لهذا العقل أو خروج عن قوانينه الفطرية[٣٢]. ومعنى الوحي في الشرع هو أن يُكلِّم الله سبحانه واحداً من عباده بطريقة ما، عُرِفت بأنها الوحي. وهو أمر غيبي لا نستطيع أن نفصل القول فيه إلا بحدود ما ورد في شانه من النصوص الشرعية. إن كل من آمن بوجود الله وقدرته لزمه أن يُسَلِّم بموضوع الوحي على أنه بديهية مُسَلَّمَة لا يحتاج إلى مزيد من الأدلة عليه. والعقل السليم لا يستبعد إمكانية حدوث هذا النوع من الاتصال بين الخالق والمخلوق، لأن الذي يؤمن بوجود الله سبحانه، وكماله، لا يصعب عليه الاقتناع عقلياً بإمكانية الوحي من الناحية الواقعية[٣٣].

ولم يكن رسول الإسلام ﷺ أول رسول يُوحَى إليه، بل أوحى الله تعالى إلى رُسل قبله[٣٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ❖ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء ٤: ١٦٣- ١٦٤).

ووحي الله إلى أنبيائه إما أن يكون بغير واسطة، وذلك عن طريق الرؤيا الصالحة في المنام، والكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة؛ وإما أن يكون بواسطة مَلَك الوحي، وقد نزل القرآن الكريم كُلُّه بهذه الطريقة، بواسطة مَلَك الوحي جبريل عليه السلام الذي تلَقَّى

(٣٢) زرزور، *علوم القرآن*، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، ص ص ٥٢- ٥٣.

(٣٣) محمد بن لطفي الصبَّاغ، *لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير*، ط ٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٤٥.

(٣٤) صبحي الصالح، *مباحث في علوم القرآن*، ط ٧ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٢م)، ص ٢٢.

القرآن الكريم، كلام الله، بألفاظه، ثم أبلغة إلى رسول الله محمد ﷺ[٣٥]. وكان جبريل عليه السلام يهبط على النبي ﷺ في صورتين، الأولى: عن طريق إلقاء القول الثقيل على قلبه، فيسمع صوتاً متعاقباً مثل صلصلة الجرس. والثانية: أن يتمثل له جبريل بصورة رجل يشبهه في المظهر، ويطمئنه بالقول ولا يرعبه، فيكلمه فيعي عنه ما يقول [٣٦].

وقد تحدى القرآن الكريم هؤلاء الذين شكَّكوا في وجود صلة بين القرآن والله سبحانه وتعالى، ودعاهم إلى الإتيان بمثله، فلم يفلحوا، ولم يأتوا بشيء، وأثبتوا أنهم عاجزون عن مجاراته[٣٧]. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء ١٧: ٨٨). لقد دعا القرآن الكريم غير المصدقين به، وهؤلاء المتشككين فيه، بلغة تتسم بالتحدي، أن يأتوا بسورة واحدة من مثل ما جاء فيه، ويؤكد على أنهم لن يقدروا على تحقيق ذلك، وهذا هو الإعجاز بعينه. قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ❖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢: ٢٣- ٢٤).

وقد تم الوحي بالقرآن الكريم، بلفظه ومعناه، وقد صوّر النبي ﷺ نفسه صوت الوحي بأنه مثل صلصلة الجرس، إيذاناً ببدء الوحي، أو إشارة إلى أنه ﷺ كان يسمع أصواتاً من عالم الغيب فيستغرق فيها في غيبة أو إغفاءة روحانية، يجد معها من شدّة

---

(٣٥) انظر: القَطَّان، *مباحث في علوم القرآن*، ص ص ٣٤- ٣٧؛ الصَّبَّاغ، *لمحات في علوم القرآن*، ص ص ٤٦- ٤٩؛ محمد شحرور، *الكتاب والقرآن قراءة معاصرة*، ط ٥ (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، د.ت.)، ص ص ٣٧٥- ٣٧٨.

(٣٦) الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٧؛ زرزور، علوم القرآن، ص ٥٧.

(٣٧) ناصر الدين مكارم الشيرازي، محمد والقرآن، ط ١ (بيروت: دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ص ص ٣٥ - ٣٧.

الوحي ووطأته ما يجعل راحلته تبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها(٣٨). وتجدر الإشارة إلى أن قضية الوحي من القضايا التي شغلت المستشرقين، وشكَّك بعضهم فيها، وظنوا أن الوحي على الصورة التي كانت تترك آثارها على النبي ﷺ، إنما هو ضرب من الحالات المرضية التي كانت تعرض لمحمد ﷺ، والتي دعاها بعضهم "صرعاً"(٣٩). فزعم بعض المستشرقين أن الحالة التي كانت تعتري النبي ﷺ عند تلقي الوحي من جبريل، والتي كان يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويسمع له غطيط كغطيط النائم، ويتصبب عرقه، ويثقل جسمه، هي حالة صرع تتمخض عما يخبر به أنه وحي. وتجدر الإشارة إلى أن الوحي لم يكن يأتي النبي على هذه الحال التي قالوا عنها أنها صرع إلا أحياناً، فأحياناً كان يأتيه وهو في حالته الطبيعية، فلا غيبوبة ولا غطيط، وذلك حينما كان يأتيه جبريل في صورة رجل، وكان الجالسون لا يعرفون أنه جبريل، ولكن النبي كان يعلم ذلك حق العلم(٤٠).

وترى "دائرة المعارف اليهودية" أن أقدم أقسام القرآن هي التي تمثل الصورة المادية الملموسة للوحي، وذلك لأنها تعكس درجة رائعة من الإثارة في لغتها، ذات الجُمَل القصيرة غير المترابطة، وفي الانتقال المفاجئ لأحداثها، ولكنها برغم ذلك تحافظ بدقة على الشكل الأدبي الذي يتميز بصيغة خاصة تشبه الصيغ السحرية عند الكهان العرب الوثنيين. وهذا الشكل الأدبي يُحْفَظ أيضاً في الأقسام المتأخرة، التي تتميز بعض أجزائها بالحركة الهادئة والأسلوب الإيضاحي والتفسيري. وترى "دائرة المعارف" أن هذا الكتاب (أي: القرآن) الذي يساوي في حجمه تقريباً حجم العهد الجديد، قد جُمِع بعد موت

(٣٨) زرزور، *علوم القرآن*، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) ص ٥٨.

(٣٩) زرزور، *علوم القرآن*، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) ص ٥٩.

(٤٠) أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ص ١٠٣- ١٠٤.

النبي [ﷺ] بفترة طويلة، ولم يُعنَى بترتيب سوره المائة والأربع عشرة ترتيباً دقيقاً حسب تاريخ وجودها(٤١). هناك اقتباسات من القرآن ترجع إلى فترة مبكرة من نشاط محمد [ﷺ] في مكة. وكان النبي بنفسه يتلو أقدم الأجزاء من القرآن أمام مجموعة من أتباعه. ومن المحتمل أن هذه المجموعة كانت تضم عدداً قليلاً من أتباعه، مما جعلهم يحفظون ما يتلوه عليهم النبي بسهولة أكثر، سواء كان ذلك شفهياً أو كتابة(٤٢).

وتقول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة" إن السور الأقدم في القرآن قد صيغَت في كلمات، بأسلوب مختصر ومُبْهَم إلى حد ما. ومثل هذه القطع الأدبية المبكرة هي نتاج حالة تشنجية، في لحظات وَجْد وانجذاب روحاني، وتم تدوينها كتابة في وقت أكثر تأخراً. وقد اعتبر محمد [ﷺ] أن رؤاه وفترات الإثارة التي عاشها، والتي تَفَوَّه خلالها بمعظم نصائحه وآرائه، ناشئة عن وحي إلهي. وبما أنه كان مضطراً لتأسيس طقوس دينية لعبادة عامة وخاصة، ووضع نظام شرعي يُفترَض أنه ذو أصل سماوي، فإنه اضطر عامداً متعمداً إلى تغيير المصطلحات التي سبق أن نطق بها على نحو ارتجالي، وفي أوقات مختلفة(٤٣).

ندرك من توجهات دوائر المعارف اليهودية فيما عرضته عن نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ، أنها تذهب إلى أن القرآن الكريم من عند محمد ﷺ، ابتكر معانيه، وصاغ أسلوبه، وليس وحياً يُوحَى. وإذا كان هذا الزعم صحيحاً، وإذا كان الرسول ﷺ يدَّعي لنفسه الزعامة، ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته، فلماذا لم ينسب القرآن إلى نفسه حتى يضمن التفاف الناس حوله، والتسليم بزعامته؟ فالعرب جميعاً رغم فصاحتهم عجزوا عن معارضته، ولم يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثله. ومن ناحية أخرى،

---

(٤١) The Jewish Encyclopedia, P. 558.

(٤٢) The Jewish Encyclopedia, P. 558.

(٤٣) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 452.

إذا ظن المستشرقون أن محمداً ﷺ قد نسب القرآن إلى الوحي الإلهي لكي يضفي على كلامه هالة من القداسة، فلماذا نسب كلاماً آخر - غير ما جاء في القرآن - إلى نفسه، وهو ما عُرِف بالحديث النبوي الشريف. ولو كان ادعاء هؤلاء المستشرقين صحيحاً لنسب كل أقواله إلى الوحي، وجعله من كلام الله تعالى(٤٤).

لقد ذكر القرآن الكريم أنباء من سبق من الأمم والجماعات والأنبياء والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة كما يذكر شاهد العيان رغم طول الزمن الفاصل بين عصر الرسول ﷺ والعصر الذي يحدثنا القرآن عنه والضارب في أغوار التاريخ إلى نشأة الكون الأولى. إن محمداً ﷺ لم يعاصر هذه الأمم وهذه الأحداث في قرونها المختلفة حتى يشهد وقائعها وينقل أنباءها على النحو الذي أخبرنا القرآن الكريم به(٤٥). ومنها أنباء دقيقة تتناول الأرقام الحسابية التي لا يعلمها إلا الدارس البصير(٤٦). ومن أين لمحمد ﷺ هذه الأمور التفصيلية عن بدء الخلق ونهايته، والحياة الآخرة وما فيها من الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وما يتبع ذلك من الملائكة وأوصافهم ووظائفهم. ومن أين لمحمد ﷺ بما تضمنه القرآن الكريم من أحكام قاطعة عن أخبار المستقبل؟(٤٧).

---

(٤٤) القَطَّان، *مباحث في علوم القرآن*، ص ٣٨.

(٤٥) القصص ٢٨ : ٤٤- ٤٥؛ هود ١١ : ٤٩؛ يوسف ١٢ : ٣؛ آل عمران ٣ : ٤٤.

(٤٦) العنكبوت ٢٩ : ١٤؛ الكهف ١٨ : ٢٥.

(٤٧) النور ٢٤ : ٥٥؛ الحج٢٢ : ٤٠- ٤١؛ الأنفال ٨ : ٥٣. - - القَطَّان، مباحث في علوم القرآن، ص ص ٤١ - ٤٢.

جمع القرآن وتدوينه

كان القرآن في حياة الرسول ﷺ متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف، وفي جريد، وفي لخاف، وفي خزف وغير ذلك(٤٨). وكان رسول الله ﷺ سيد الحُفَّاظ وأوّل الجُمَّاع، فقد جمع القرآن وحفظه واستظهره في لوح القلب قبل الجميع؛ ثم تيسر ذلك لنخبة من صحابته على عهده، وكان عدد هذه النخبة غير قليل. وكان النبي ﷺ ينزل عليه القرآن فيقرؤه على صحابته في تؤدة وتمهل حتى يحفظوا لفظه ويفهموا معناه. ولم يكتف النبي ﷺ بحفظ القرآن وإقرائه لأصحابه وحفظهم له، بل جمع إلى ذلك كتابته وتقييده في السطور. واتخذ النبي ﷺ كُتَّاباً للوحي، فيهم الخلفاء الأربعة، وأبان بن أبي سعيد، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سُفْيان، وزيد بن ثابت، و أُبَيّ بن كعب، وغيرهم. وكان إذا نزل على النبي من الوحي شيء دعا بعض من يكتب فيأمره بكتابة ما نزل وإرشاده إلى موضعه وكيفية كتابته على حسب ما كان يرشده إليه أمين الوحي جبريل. وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا"(٤٩). لقد كُتِب القرآن كله في عهد النبي ﷺ وبين يديه، وإن كان مفرقاً، وكذلك كتب بعض الصحابة القرآن أو ما تيسر لهم منه، وإن لم تبلغ كتابتهم في الوثوق مبلغ ما كُتِب بين يدي النبي. وقد أذِن النبي ﷺ لأصحابه في كتابة القرآن دون السُنَّة، ففي صحيح مسلم: لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه". ولم يكن المكتوب في عهد الرسول ﷺ مُرَتَّب السور والآيات، ولم يقرؤوه في ذلك الوقت مُرَتَّب الآيات حسب

---

(٤٨) چفري، *مقدمتان في علوم القرآن*، ص ٢٤٧.

(٤٩) الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ص ٦٥- ٧٠؛ أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ٢٦٧.

ما أوقفهم عليه الرسول بإرشاد جبريل عن رب العالمين، وعلى ما هو عليه اليوم. إن ترتيب آيات القرآن وسوره لم يكن على حسب النزول، بل كان على حسب تناسب الآي وترابطها، وقد تنزل آية أو سورة بعد آية أو سورة، وتكون في ترتيب الكتابة قبلها، لا بعدها كما نزلت(٥٠).

ولما تولى أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة حارب أهل الردّة، وقُتِل في الحرب كثير من الصحابة، حُفّاظ القرآن، فهال ذلك عمر بن الخطاب ﷺ وجاء يقترح على أبي بكر ﷺجمع القرآن في مكان واحد، وصحف مجموعة بدل وجوده مفرقاً، فوافق أبو بكرﷺ بعد تردُّد. لقد كان الباعث على كتابة القرآن في عهد أبي بكر ﷺ، الخوف من ضياع شيء منه بسبب موت الكثيرين من القرَّاء والحُفَّاظ في الحروب(٥١).

وفي عهد عثمان ﷺ تفرق الصحابة في البلدان، وحمل كلٌ منهم من القراءات ما سمعه من رسول الله ﷺ، واختلف الناس في القراءات، وصار كل قارئ ينتصر لقراءته، ويُخَطّئ قراءة غيره، وعظم الأمر، واشتد الخلاف، فأفزع ذلك عثمان ﷺ، وخشي عواقب الاختلاف في التقليل من الثقة بالقرآن الكريم وقراءاته الثابتة. وتشاور عثمان ﷺ هو والصحابة فيما ينبغي، فرأى ورأوا معه ضرورة أن يجمع الناس على مصحف واحد، لا يتأتى فيه اختلاف، ولا تنازع(٥٢). وكان الباعث على جمع عثمان ﷺهو رفع هذا الاختلاف والتنازع في القرآن، وقطع المراء، وذلك بجمع الناس على القراءة بحرف واحد وهو لغة قريش، أما قبله فكانت الصحف مكتوبة بالأحرف السبعة

---

(٥٠) أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ص ٢٦٨- ٢٦٩.

(٥١) الصالح، *مباحث في علوم القرآن*، ص ص ٧٤- ٧٥؛ أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ص ٢٦٩- ٢٧٢؛ چفري، مقدمتان في علوم القرآن، ص ٢٧٤.

(٥٢) أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ٢٧٤.

التي نزل بها القرآن وما تحتمله من قراءات، ولذلك كان لعثمان ﷺ الفضل في رفع الاختلاف وجمع الكلمة في الأمة. وقد تميز الجمع في عهد عثمان ﷺ بالاقتصار على ما ثبت بالتواتر، وما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة، ولم يكتبوا ما ثبت بطريق الآحاد، ولا منسوخ التلاوة. كما تميز مصحف عثمان ﷺ بترتيب آياته وسوره على الوجه المعروف به اليوم. وفي عهد عثمان ﷺ، تم تجريد القرآن من النقط والشكل، ومن كل ما ليس بقرآن، بخلاف ما كان مكتوباً عند بعض الصحابة، فقد كان فيه بعض تأويلات وتفسيرات لبعض ألفاظه(٥٣).

وقد أرسل عثمان من القرآن نسخة إلى المدينة، وأخرى إلى الكوفة، والثالثة والرابعة إلى البصرة ودمشق. وتعتبر هذه النسخ، الأصول الأربعة لكافة ما كتب وطبع من القرآن في جميع أنحاء العالم من زمن عثمان إلى وقتنا هذا. ونُقلَت عن هذا النسخ النسخة التي طبعتها الحكومة المصرية في مصلحة المساحة ونشرتها في سنة (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)(٥٤).

وقد بدأ نزول الوحي على رسول الله في ١٧ رمضان سنة ١٣ قبل الهجرة النبوية، وهو موافق لشهر يوليو (تموز) سنة ٦١٠م، وكان عمره غذ ذاك أربعين سنة. واستمر نزول القرآن ثلاثاً وعشرين سنة، حتى لقي ربَّه في ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هـ، الموافق ٨ من يونيو (حزيران) سنة ٦٣٣م، وكان عمره إذ ذاك ٦٣ عاما(٥٥). وقد وقع

(٥٣) أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ص ٢٧٨- ٢٧٩.

(٥٤) محمد لطفي جُمْعَة، *نظرات عصرية في القرآن الكريم*، (القاهرة: عالم الكتب، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ٤٣.

(٥٥) عبد الله محمود شحاته، *علوم القرآن*، ط ٣ (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق بجامعة القاهرة، ١٩٨٥م)، ص ١٦.

خلال هذه المدة حادث عظيم لعله أعظم الأحداث في حياة النبي بعد البعثة، وهذا الحادث هو الهجرة إلى المدينة المنورة. وكان هذا القرآن الكريم يتنزل في مكة على النبي ليواجه به مجتمع الجاهلية العنيد، وليوجه القلة المستضعفة المغلوبة على أمرها ممن آمن واهتدى. ولكنه في المدينة كان يواجه مجتمعاً قائماً على أساس الإيمان والانقياد لتعاليم هذا الدين، فكان من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف بين موضوعات كل من المرحلتين، ويتبع هذا الاختلاف في الموضوع الاختلاف في خصائص الأسلوب(٥٦).

إن خصوم الإسلام يحرصون كل الحرص على التشكيك في القرآن الكريم، لأنه قوام الدين وأصله الذي يعتمد عليه. وهم يقولون إن الفاحص للمكي والمدني يجد القرآن منقسماً إلى أسلوبين مختلفين متغايرين تمام التغاير. فالأسلوب المكي مليء بالشدة والعنف، والقسوة والغضب، والوعيد والتهديد، والسب والإقذاع، وبالنزول إلى الأوساط البدائية المنحطة. أما الأسلوب المدني، فيتسم باللين والموعظة الهادئة، وأسلوب الأوساط المتحضرة(٥٧).

تقول "دائرة المعارف العبرية"، إنه وفقاً للدين الإسلامي، نزل القرآن على محمد [ﷺ] خلال عشرين عاماً (من عام٦١٠ حتى عام ٦٣٠م تقريباً). وقد بدأت السور الأولى في النزول عليه وهو في مكة، وتصور هذه السور قلقه الشديد وخشيته من يوم الحساب، وتتضَمَّن تحذيراته لأبناء شعبه لإصلاح طريقهم، والعودة إلى الله الذي يستحق منهم الشكر والامتنان على ما أسبغ عليهم من نِعَم. وتنتمي بقية السور إلى فترة ما بعد الهجرة للمدينة (٦٢٢هـ)، وهي تتضمَّن معظم الأجزاء التشريعية، والأجزاء التي تهاجم اليهود

(٥٦) الصَّبَّاغ، *لمحات في علوم القرآن*، ص ١٤٥.

(٥٧) موسى شاهين لاشين، *اللآلئ الحِسان في علوم القرآن*، (القاهرة: د. ن.، مطبعة دار التأليف، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص ص ٢٥- ٣٠.

و"المنافقين" الذين كانوا في معسكره. وهكذا أصبح من المتبع تقسيم سور القرآن من ناحية التسلسل الزمني للأحداث، إلى سور مكية وأخرى مدنية. وتقول "دائرة المعارف العبرية" إن هذه السور تختلف عن بعضها البعض في محتواها وأسلوبها؛ والحقيقة أنه لا يوجد اتفاق تام بين الباحثين الغربيين، وحتى المسلمين أنفسهم، بشأن انتماء السور المختلفة لأي من الفترتين، المكية والمدنية. ومن أجل تسوية هذا الخلاف النابع من الغموض بين الآيات المختلفة، وضع المسلمون نظرية تنص على أن الآيات التي تنتمي إلى الفترة المتأخرة تنسخ وتُبطِل الصلاحية الشرعية لتلك الآيات التي ترجع إلى الفترة الأقدم(٥٨).

وتزعم "دائرة المعارف العبرية" أن أسلوب القرآن الكريم يختلف ضعفاً وقوة بسبب نزول بعضه في مكة والبعض الآخر في المدينة، وهو زعم تكذبه أية مقارنة بين السور المكية والسور المدنية. وهم يهدفون من ذلك إثبات أن السور المدنية أقوى من السور المكية لأنها جاءت في الفترة الأخيرة من حياة النبي، حتى يؤكدوا على نظريتهم القائلة بأن هذا القران من تأليف محمد ﷺ، فالسور المدنية جاءت بهذه القوة نتيجة نضجه وتمرسه. والواقع يكذب هذه الافتراءات، فسورة يوسف وسورة الأنعام ولقمان وسبأ والزمر ومريم والنحل والقصص والفرقان والأعراف والشورى والكهف، جميعها من أمهات الكتاب.

وحقيقة الأمر في ما يتعلق بالفرق بين المكية والمدنية هو أن الأخيرة تنطوي على كثير من التشريع الذي أراده الله للمجتمع الإنساني بعد اتصاله عليه الصلاة والسلام بالأنصار ومحاوراته لليهود وبعد أن استتب الأمر للرسول، وهذا ليس معناه أن السور المكية خالية من التشريع فإن الذي فيها أكثر، ولكن المسائل التاريخية والحث على التأمل في خلق الكون والحكمة الإلهية والإنسانية متغلبة على التشريع في السور المكية، و نجد في

(٥٨) האנציקלופדיה העברית، עמ" 51- 52.

السور المكية الأسلوب الخطابي والإقناع والتخويف من الوعيد ووصف المجتمع الإنساني القديم وطبيعة البشر وأحوال الجاهلية. وعلى أية حال، فإنه ليس من الممكن، ولا من المقبول، المفاضلة بين سور القرآن[٥٩].

وتقول "دائرة المعارف اليهودية جودايكا" إن محمد [ﷺ] لم يجمع النصوص الموُحى بها، التي نزلت عليه، فهذا الجمع قد تم عمله بعد محاولات كثيرة، بعد وفاته بحوالي عشرين عاماً. وما تم جمعه، لم يُصَنَّف وفقاً للمحتويات أو المضمون أو الأشكال الأدبية، أو الزمن الذي ظهر فيه كل جزء إلى الوجود. ويتكون القرآن من مائة وأربع عشرة سورة، جاءت الواحدة تلو الأخرى، مثل فصول المشنا (التوراة الشفوية)، ومرتبة ترتيباً تنازلياً – بشكل عام – حسب قاعدة تناقص الطول، أي جاءت السورة الأطول فالأقصر، باستثناء بعض السور القصيرة التي لم تكن متجانسة الطول في حد ذاتها. وتتكون كل سورة من آيات (الكلمة العربية "آية"، وجمعها "آيات"، بمعنى sign "إشارة، إيماءة"؛ قارن: אוֹת في العبرية)[٦٠].

وتقول "دائرة المعارف العبرية"، إن محمداً [ﷺ] لم يرتِّب القرآن، ولم يحرِّره، وترك بعد موته عدداً من النصوص. وفي عهد الخليفة عثمان تم تحديد نص قرآني واحد، وهو المقبول حتى أيامنا هذه. ومع ذلك بقيت عدة تغيرات في صورة النص. وقد نشأت هذه التغيرات نتيجة تعدد القراءات التي كانت تتبع في مراكز إسلامية عدة، من ناحية، ومن ناحية أخرى، بسبب افتقار الخط العربي آنذاك إلى العلامات التي تُمَيِّز بين الحركات القصيرة والطويلة، وكذلك بين الحروف التي تختلف بعضها عن بعض تمام الاختلاف. ثم

(٥٩) جمعة، نظرات عصرية في القرآن الكريم، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ٣٢.

(٦٠) Encyclopaedia Judaica, Col. 1195.

أُدْخِل تدريجياً إلى النص القرآني وضع النقاط على الحروف والتشكيل بالحركات، وأُتفق على سبع قراءات شرعية للنص. واليوم يُعمَل فقط بنهجَيْن اثنين في قراءة النص[٦١].

البناء والمحتوى

سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يُعْتَدّ بإجماعه، وقيل: مائة وثلاث عشرة سورة إذا اعتبرنا الأنفال وبراءة سورة واحدة، بشبهة عدم البسملة بينهما؛ ولكن هذا الرأي مردود بما ثبت من أن النبي ﷺ سَمَّى كل واحدة منهما. أما بالنسبة لترتيب سور القرآن على النحو الذي هو عليه منذ عهد الرسول ﷺ وحتى الآن، فإن للعلماء في ذلك الأمر ثلاثة أقوال: الأول: أن ترتيب جميع السور لم يكن بتوقيف من النبي، وإنما كان باجتهاد من الصحابة. والثاني: أن ترتيبها كان بتوقيف من النبي، كترتيب الآيات. والثالث: أن ترتيبها توفيقي إلا قليلاً منها، فترتيبه عن اجتهاد من الصحابة[٦٢]. وتختلف سور القرآن طولاً وقصراً، فسورة الكوثر هي أقصر سور القرآن، إذ أن عدد آياتها ثلاث آيات، أما أطول سور القرآن هي سورة البقرة التي تجاوزت الجزأيْن، وعدد آياتها ٢٨٦ آية[٦٣].

تقول "دائرة المعارف العبرية" إن القرآن يشكل أساس الدين الإسلامي في صورته التوحيدية الحقيقية، التي حلت محل اليهودية والمسيحية. كذلك تتسع فيه وتتجسد صفات وحدانية الله وقدرته، فالله سبحانه هو الذي خلق الكون ويعلم الظاهر والباطن، وهو

---

(٦١) האנציקלופדיה העברית، עמ" 52.

(٦٢) لاشين، *اللآلئ الحِسان في علوم القرآن*، (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م)، ص ٣٩- ٤٤.

(٦٣) سليمان بن صالح القرعاوي ومحمد بن علي الحسن، *البيان في علوم القرآن*، ط٢ (الأحساء بالمملكة العربية السعودية، مكتبة الظلال، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص ٢١١.

الذي يملك مفاتيح الغيب، لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، ويعلم دقائق الأمور في هذا العالم (الأنعام ٦ : ٥٩). والله هو الذي يثيب من عمل صالحاً، فالمؤمنون المُتَّقُون مَوْعُودون بالجنة ونعيمها، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والناس جميعاً معرضون للثواب أو العقاب، كلٌ حسب عمله، فمن عمل صالحاً له من الله ثواب عظيم (الكهف ١٨ : ٣١؛ الدخان ٤٤: ٥١- ٥٧؛ الطور ٥٢: ١٧- ٢٤)، وهنا تبرز العناصر المتعلقة بالعالم الآخر على وجه الخصوص، مثل يوم الحساب، والجنة والنار، وجهنم، وتوصف هذه العناصر في القرآن في صور مفعمة بالحياة ومثيرة[٦٤].

وتقول "دائرة معارف كنز إسرائيل" إن كل سورة من سور القرآن الكريم تتكون من عدد من الآيات الطويلة والقصيرة، وتنتهي أواخرها في الغالب بقافية وسجع؛ وتعتبر السور العشرين الأخيرة هي الأقصر. وأطول سور القرآن هي السورة الثانية "سورة البقرة"، حيث تحتوي على ٢٨٦ آية طويلة، تليها من حيث الطول، السورة الثالثة "آل عمران" التي تضم مائتي آية، والسورة الرابعة هي "سورة النساء" والتي تضم ١٧٦ آية[٦٥]، والسورة السادسة من حيث عدد آياتها هي "سورة الأنعام" حيث تحتوي على ١٦٥ آية، ويليها السورة السابعة "الأعراف" وعدد آياتها ٢٠٦ آية[٦٦]. ويتراوح عدد آيات معظم سور القرآن بين عشر آيات و ومائة آية. إن الرؤى التي رآها محمد [ﷺ] قد تجلت له

(٦٤) האנציקלופדיה העברית، עמ' 50.

(٦٥) ذكرت "دائرة معارف كنز إسرائيل" إن عدد آيات سورة النساء ١٧٥ آية، والصواب هو ما أثبتناه في المتن. انظر: אוצר ישראל، עמ' 150.

(٦٦) ذكرت "دائرة معارف كنز إسرائيل" إن عدد آيات سورة الأعراف ٢٠٥ آية، والصواب هو ما أثبتناه في المتن. انظر: אוצר ישראל، עמ' 150.

بواسطة روح القدس، وذلك حسب إفادته الواردة في سورة النحل ١٦ : ١٠٢ [٦٧] ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ، (وكذا، سورة النحل ١٦ : ٢ ؛ الإسراء ١٧ : ٨٥)[٦٨] ؛ وهي الروح التي أيَّد الرب بها يسوع [عيسى] بن مريم (البقرة ٢ : ٨٧ ؛ المائدة ٥ : ١١٠)[٦٩]. وبهذه الروح اختار محمد [ﷺ] لتفسير أمر عسر (في حديثه عن يسوع [عيسى] الناصري) لأن الروح تمثَّل لمريم في صورة بشر، ونفخ في بطنها فحبلت؛ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (سورة مريم ١٩ : ١٧). وحسب التقليد الديني كانت الروح المذكورة هي الملاك جبريل، الذي – بدون شكّ - ترمز كلماته إلى فكرة "اللوجوس"[٧٠] الذي بشر بالمسيح[٧١].

وتقول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة" إن محمد [ﷺ] لم ينجح، مع ذلك، في إحداث ترتيب متناغم ومتماسك في داخل كل سورة، ولا يوجد في القرآن سوى مجموعة صغيرة مرتبة ترتيباً منهجياً على نحو جيد. وتقع السور الشعرية الأقدم في القسم الأخير من القرآن؛ أما السور الأكثر تأخراً - وهي طويلة ونثرية في الغالب - فإنها تقع في بداية القرآن ووسطه. والأرجح أنها احتلت هذا الموضع المميَّز لاحتوائها على معظم التشريعات

---

(٦٧) أشارت "دائرة معارف كنز إسرائيل" إلى هذه الآية بالرقم ١٠٤، والصواب هو ما أثبتناه في المتن. אוצר ישראל، עמ' 150.

(٦٨) الصواب (الإسراء آية ٨٥)، وليس ٨٧ كما أشارت إليها دائرة المعارف. אוצר ישראל، עמ' 150.

(٦٩) ورد في دائرة المعارف (البقرة آية ١)؛ (المائدة آية ١٠٩)، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(٧٠) السيد المسيح في الفكر الديني المسيحي هو "اللوجوس"، وهي في اللغة اليونانية تعني "الكلمة"، وهي لا تعني "لفظة"، وإنما لها معنى لغوي وفلسفي واصطلاحي.

(٧١) אוצר ישראל، עמ' 150.

والقوانين والأحكام التي يقوم عليها النظام. ولا يوجد أي نظام تُرَتَّب عليه سور القرآن ترتيباً تاريخياً دقيقاً. وطوال فترة حياة محمد [ﷺ]، كانت إلهاماته متقلبة وفي حالة تغير متواصل. وبعد موته فقط حظي القرآن بأهمية عظيمة باعتباره كتاباً مقدساً يستحق التمجيد، وأُخِذَت خطوات لجمع المادة المبعثرة في شكل شفاهي ومكتوب، والاختيار منها. ووفقاً للمتوارث، فإن الترتيب الحالي لأقسام القرآن قد أُنْجِز تحت رعاية الخلفاء الثلاثة الأُوَل. وفي أغلب الأحوال، ربما ترجع حكايات القرآن، وعقائده ومبادئه، وتعاليمه الشرعية، إلى تأثيرات مسيحية ويهودية. وهذا الشعور بالتبعية لليهودية والمسيحية قد أدركه محمد [ﷺ] نفسه كنتيجة منطقية لنظريته الخاصة بالوحي الإلهي من خلال نفسه. إن المتطلب الأساسي الضروري لفهم الأفكار والتعبيرات الكثيرة الواردة في القرآن يتمثل في معرفة دقيقة لليهودية والمسيحية، وأيضاً "الغنوسطية"[٧٢] التي كانت موجودة في زمن محمد [ﷺ] ، وكذا ضرورة معرفة الشعر العربي القديم[٧٣].

تقول "دائرة المعارف العبرية" إن القرآن يعتبر الكتاب النثري الأول الذي كُتِب باللغة العربية. وبسبب متطلبات العبادة، والتي تتضمن أحياناً قراءة نصوص قرآنية كاملة (خاصة في ليالي رمضان)، قُسِّم القرآن في فترة لاحقة إلى ثلاثين جزءاً، وإلى جانب هذا التقسيم يوجد الآن تقسيم آخر وهو تقسيم القرآن إلى ١١٤ سورة، وتحتوي كل سورة

(٧٢) الغنوسطية أو الغنوصية (Gnosticism) مأخوذة من اليونانية، وتعني "معرفة أو عرفان"، ويمكن ترجمتها بالعرفانية. وهي عمليا نزعة دينية فلسفية صوفية، وسميت بهذا الاسم لأن شعارها هو أن بداية الكمال هي معرفة أو الإنسان، أما معرفة اللّه فهي الغاية والنهاية. يعد الباحثون الغنوصية مذهبا توفيقياً ومزيجا من أفكار دينية متباينة الأصول، وأنها دين عالمي وإسقاط أسطوري لتجربة الذات، وأنها وليدة تزاوج المسيحية وحركات روحية من أديان مختلفة كاليهودية والفلسفة اليونانية الهيلينية والإيرانية.

(٧٣) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 452.

على عدد من الآيات. وتنتظم السور في نظام تدريجي تنازلي تسبق فيه السورُ الطويلة السورَ القصيرة، ويستثنى من ذلك أقدمها. وأهم هذه النوعية السورة الأولى (الفاتحة)، وتضم سبع آيات فقط، وتعتبر "أساس الإيمان" وصلاة عون وهداية؛ وهي جزء رئيس في كل صلاة من صلوات اليوم الخمس المفروضة على المسلم. وكل سورة في الغالب مُخَصَّصة لموضوعات معدودة، لا توجد دائماً علاقة مباشرة فيما بينها، حيث إن هناك سوراً كثيرة مكونة من فقرات، كُتِبَت، على ما يبدو، في فترات مختلفة. وتبدأ كل سورة من سور القرآن بالبسملة، وهي الافتتاحية التي تقول "بسم الله الرحمن الرحيم"، عدا السورة التاسعة "التوبة"(٧٤)، التي تنتمي في الأصل - على ما يبدو - إلى السورة الثامنة "الأنفال". ويلي هذه الافتتاحية، في تسع وعشرين سورة، فواتح مكونة من حروف الأبجدية، مستقلة، وتكون أحياناً من حرف واحد فقط، وأحياناً تكون من حرْفَيْن أو ثلاثة أحرف، أو أربعة أحرف، أو خمسة أحرف(٧٥)، وقد فُسِّرَت تلك الفواتح بتفسيرات مختلفة: فهناك من اعتبرها رموزاً لأسماء الله، وهناك من حاول تفسيرها طبقاً لحساب حروف الهجاء؛ كما ذهب آخرون إلى أن تفسيرها في علم الله؛ كما رأى بعض علماء الغرب في هذه الحروف اختصاراً لأسماء أصحاب النسخ الأصلية، أو أنها شفرات خاصة .... الخ(٧٦).

(٧٤) لم تُستَهَل سورة التوبة بالبسملة.

(٧٥) البقرة: آلم؛ آل عمران: آلم؛ الأعراف: آلمص؛ يونس: آلر؛ هود: آلر؛ يوسف: آلر؛ الرعد: آلمر؛ إبراهيم: آلر؛ الحِجْر: مريم: كهيعص؛ طه: طه؛ الشعراء: طسم؛ النمل: طس؛ القصص: طسم؛ العنكبوت: آلم؛ الروم: آلم؛ لقمان: آلم؛ السجدة: آلم؛ يس: يس؛ ص: ص؛ غافر: حم؛ فصلت: حم؛ الزخرف؛ حم؛ الدخان: حم؛ الجاثية: حم؛ الأحقاف: حم؛ ق: ق؛ القلم: ن.

(٧٦) האנציקלופדיה העברית، עמ" 51.

إن اسم - أو أسماء [٧٧]- كل سورة مأخوذ من كلمة تبرز في بدايتها، أو من كلمة تشير إلى أحد موضوعاتها. وفيما يتعلق بتقسيم السور إلى آيات، يُعمَل اليوم بمنهجين اثنين، أحدهما تقسيم المستشرق الألماني "جوستاف فليجل" (Gustav Flügel) منذ عام ١٨٣٤م، الذي أُسِّس على تقليد علماء البصرة، وثانيهما تقسيم الطبعة المصرية الملكية منذ عام ١٩٢٥م، الذي أُسِّس على تقليد علماء الكوفة [٧٨].

وحسب الفكر الإسلامي، نقول إن الله عزّ وجلّ افتتح تسعاً وعشرين سورة من كتابه العزيز بحرف أو أكثر من حرف من حروف التهجي. وجاءت هذه الفواتح على صيغ مختلفة، فمنها ما هو مؤلف من حرف واحد، في ثلاث سُوَر: صاد وقاف والقلم، فالأولى مفتتحة بحرف "ص"، والثانية بحرف "ق"، والثالثة بحرف نون، ومنها ما هو مؤلف من حَرْفَيْن، وذلك في عشر سُوَر: سبع منها مفتتحة بالحَرْفَيْن "حم"، وهي: غافر أو (المؤمن)، وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف – بهذا الترتيب في المصحف – أما الثلاث الباقية في سورة "طه" المسماة والمفتتحة بنفس الحرفين، والنمل المفتتحة بالحرفين "طس"، وسورة "يس" المسماة والمفتتحة بنفس الحرفين.

---

(٧٧) لكل سورة من سور القرآن اسماً واحداً، وهو الأعم الأغلب، وقد يكون لها اسمان، كسورة "البقرة"، يقال لها: فسطاس القرآن، لعظمها وبهائها، و"النحل" تسمى سورة النِعَم، لما عَّد الله فيها من النِعَم على عباده.. وسورة "حم عسق" وتسمى الشورى، وسورة "محمد" ﷺ وتسمى: القتال.. وقد يكون لها ثلاثة أسماء أو أكثر كسورة "غافر" والطَّول والمؤمن، لقوله تعالى فيها [وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ] (غافر ٤٠ : ٢٨)، وكسورة "الفاتحة" التي تسمى أيضاً بأم الكتاب، والسبع المثاني وأم القرآن. وقد كره بعضهم هذه التسميات بطريق الإضافة، وذهب إلى أن يقال في ذلك السورة التي يذكر فيها البقرة أو آل عمران ..ز الخ، والدليل على صحة التسميات السابقة هو الصحيح من المأثور. - زرزور، علوم القرآن، ص ص ١٠٣- ١٠٤.

(٧٨) האנציקלופדיה העברית، עמ" 51.

أما الفواتح المؤلفة من ثلاثة أحرف فنجدها في ثلاث عشرة سورة: ست منها بلفظ "الم" وهي في سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة، وخمس منها بلفظ "الر" في سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر، واثنتان بلفظ "طسم" في سورتي الشعراء والقصص. وهنالك فوق هذا سورتان مفتتحتان بأربعة أحرف هما سورة الأعراف وفي مستهلها "المص"، وسورة الرعد وفي مستهلها "المر"(٧٩). وهناك صيغة واحدة مؤلفة من خمسة أحرف هي "كهيعص" في أول سورة مريم(٨٠).

وللعلماء والدارسين آراء كثيرة في تفسير هذه الحروف المقطَّعة أو تأويلها، وهناك اتجاهان في هذه المسألة: ويرى أصحاب الاتجاه الأول أنه من الأفضل عدم الخوض في تفسير هذه الحروف أصلاً لأنها – فيما قيل – مما استأثر الله تعالى بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه لحكمة يعلمها الله. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاتجاه يتعارض مع الأمر بتدبر القرآن ومعرفة ما فيه(٨١).

أما أصحاب الاتجاه الثاني، فقد اختلفوا في تفسير هذه الحروف، ومن أشهر آرائهم:

١- إن هذه الحروف دلالة على اسم من أسمائه تعالى أو صفة من صفاته. وقريب من هذا من يرى بأن هذه الحروف لو وُصِلَت بعضها البعض صارت اسماً من

---

(٧٩) زرزور، *علوم القرآن*، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص ص ١٥٢.

(٨٠) سورة الشورى السابقة – إحدى الحواميم – افتتحت كذلك بعد "حم" بآية أخرى مؤلفة من ثلاثة حروف هي "عسق".

(٨١) (سورة محمد ٤٧: ٢٤)، (سورة النساء ٤: ٨٣). زرزور، علوم القرآن، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص ص ١٥٣ – ١٥٤.

أسماء الله تعالى، كقولك "الرحمن"، فهو: "آلر" "حم" "ن". ولكن هذا إنما يتأتى في بعض الحروف دون جميعها[٨٢].

٢- إن هذه الحروف – حسب رأي بعض العلماء - إنما هي أسماء للسور التي استهلت بها.

٣- أنها للتحدي والإعجاز، وبيان أن القرآن الكريم الذي أعياهم أمره حتى وصفه بعض الكافرين بأنه سحر، إنما هو مؤلف من حروف التهجي المعروفة، ليتبين للعرب أن القرآن نزل بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تقريعاً لهم ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله[٨٣].

ترتيب نزول الآيات ومواكبتها للأحداث

اهتم العلماء المسلمون بالوقوف على أول ما نزل من القرآن على الإطلاق، وآخر ما نزل منه على الإطلاق، وللعلماء في ذلك أقوال وآراء. فقد قيل إن أصح الأقوال أن أول ما نزل هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق ١- ٥؛ وقيل عن أول ما نزل هو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ (المدثر ٧٤: ١- ٢)؛ وقيل إن أول ما نزل هو سورة الفاتحة، ولعل المراد أول سورة كاملة. وقيل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، البسملة التي نزلت صدراً لكل سورة. أما آخر ما نزل، قيل آية الربا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ ﴾

(٨٢) زرزور، علوم القرآن، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص ص ١٥٤ – ١٥٥.

(٨٣) الصالح، *مباحث في علوم القرآن*، ص ص ٢٣٤- ٢٣٥؛ زرزور، علوم القرآن، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص ص ١٥٥ – ١٥٦.

(البقرة ٢ : ٢٧٨)؛ وقيل إن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٨١)؛ وقيل إن آخر ما نزل آية الدَّيْن: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٨٢)؛ وقيل إن آخر ما نزل آية الكَلالة: ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ ﴾ (النساء ٤ : ١٧٦)؛ وقيل آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ (التوبة ٩ : ١٢٨)؛ وقيل إن سورة المائدة هي آخر ما نزل من القرآن؛ وقيل إن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ (آل عمران ٣ : ١٩٥)؛ وقيل إن آخر ما نزل آية: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ (النساء ٤ : ٩٣)، وقيل إن آخر ما نزل سورة النصر: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ ﴾ . أما قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ (المائدة : ٣) فإنها نزلت بعرفة في عام حجة الوداع، ويدل معناها الظاهر على اكتمال الفرائض والأحكام. وتجدر

الإشارة إلى أن هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وجميعها من باب الاجتهاد وغلبة الظن[٨٤].

وقد ورد في "دائرة معارف كنز إسرائيل" أنه إذا حاولنا تحليل القرآن إلى أقسام، وذكرنا كل قسم منها حسب محتواه، الأول فالأول، والأخير فالأخير، فإننا نصل إلى النتائج التالية: إن الوحي الأول، أو النبوءة الأولى توجد في الآيات ١- ٥ من سورة العلق، وأن الآيات ٦- ١٩ قد أُلحِقَت في وقت متأخر، وقد رأى هذه الرؤية في ليلة القدر (سورة القدْر ٩٧ : ١- ٥[٨٥]، والنّبأ ٧٨: ٣٨) في الوقت الذي هبط فيه الملاك والروح إلى الأرض ليأتي إليه بالقرآن من السماء السابعة. وبعد مرور فترة من الانقطاع والتوقف رأى الرؤية، فنزلت (المدثر ٧٤: ١- ٧؛ التكوير ٨١: ٢٢)، ويؤكد أنه قد تراءى له الرجل جبريل بأُفُق صافٍ واختلاط عقل وبَلْبَلَة. ثم نزلت سورة النّجْم (النجم ٥٣ : ١- ١٠): ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾. وقد استندت فرقة أهل السُنَّة على هذه الأقوال في رؤيتها عندما ذهبت إلى أن القرآن لم يُخْلَق، وإنما هو منذ الأزل. وبعد ذلك، لَعَن عَمَّه أبا لهب، في سورة المَسَد، ويؤكد على خطيئة أبناء قريش وتفاقمها في سورة التّكاثُر، ونزل ما يشير إلى أن أبناء جيله بخلاء (المُزّمل ٧٣: ١١)، وأن الأغنياء الأكثر ترفاً لا يملكون قلباً لتقديم الصدقات (النّجْم ٥٣ : ٣٤)، ونزل ما يشير إلى أولئك الذين

---

(٨٤) القَطّان، *مباحث في علوم القرآن*، ص ٦٥- ٧١؛ وانظر وقارن آراء العلماء واختلافهم في: أبو شهبة، *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ص ص ١٠٩- ١٢٤.

(٨٥) ورد في دائرة المعارف: (٩٧: ١- ٨)، وفيه خطأ، حيث إن آيات سورة القدر خمس فقط. אוצר ישראל، עמ' 151.

يُضَيِّقون على اليتامى ويمنعون الماعون في سورة الماعون: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ الخ. ثم سورة المُطفّفين: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ (المُطفّفين ٨٣: ١- ٣). ثم تحدَّث بعد ذلك عن إحياء الموتى (سورة مريم، وسورة المُدَّثِّر)، وعن إعالة الفقراء (سورة البَلَد)، ويأمر بقراءة القرآن في هزيع الليل (سورة المُزَّمِّل)، ويؤكد أنه لن يضل، ولن يغوى (سورة التين، سورة العصر، كذلك الأحقاف ٤٦: ١٠)، وكذلك تحدث في بعض الآيات عن هؤلاء القائلين بأن القرآن يحتوي على قصص قديمة أسطورية (١٠ مرات)[٨٦]، ويَلْعَن خُصُومه وأعداءه (سورة الكوثر)، ويتَضَرَّع لتكون النار مثواهم (المُرسَلات ٧٧: ١١- ٣٠). أما هو فيتمنى الخلاص الإلهي لنفسه ويقول: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ (الضُحَى ٩٣: ٦- ١١). (وكذلك سورة الشَّرح ٩٤: ١). ويصف خلق الكَوْن (المُرسَلات ٧٧: ٢٦- ٤٦)، والملائكة (النازعات ٧٩: ١- ١٦)، وخَلْق آدم وحواء (النّجْم ٥٣: ٤٥-

(٨٦) ورد قوله تعالى "أساطير الأوَّلين" في: الأنعام ٦: ٢٥؛ الأنفال ٨: ٣١؛ النحل ١٦: ٢٤؛ المؤمنون ٢٣: ٨٣؛ الفرقان ٢٥: ٥؛ النمل ٢٧: ٦٨؛ الأحقاف ٤٦: ١٧؛ القلم ٦٨: ١٥؛ المطففين ٨٣: ١٣.

٥٠ ؛ المُرسَلات ٧٧ : ٢٠- ٣٠)[٨٧] ، والهَلَع من يوم القيامة ، ونعيم جنة عدن وعذاب جهَنَّم : ﴿ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ ﴾ (المدثر ٧٤ : ٤٠- ٤٦)[٨٨]. ثم حادثة الملك أبرهة النصراني من اليمن ، الذي خرج في سنة مَوْلِد محمد [ﷺ] لمحاربة مكة ومعه اثنا عشر فيلاً واستسلم ، ويُشار إلى هذه الحادثة في سورة الفيل. وفي بعض الأحيان ، يصف بالتفصيل عذاب جهنم ونعيم الجنة في مقارنة هذا مع ذاك ، حتى يؤثر على قلوب المستمعين (سورة المُطفّفين ٨٣ : ٣- ١٦ وسور ومواضع أخرى مختلفة). ففي سورة المطففين : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾[٨٩] ويقول أيضاً في سورة المطففين : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧

---

(٨٧) آيات "خَلق الزَوْجين الذكر والأنثى" تبدأ من الآية ٤٥ في سورة النجم ، وليس ٤٦ كما ورد في دائرة المعارف. - אוצר ישראל، עמ' 151.

(٨٨) ورد في دائرة المعارف أن أرقام الآيات المُستَشهَد بها هي ٤٢- ٤٧ ، وهذا خطأ ، والصواب هو ما أثبتناه في المتن. אוצר ישראל، עמ' 151.

(٨٩) المطففين ٨٣ : ١- ٣ وآيات بعدها.

عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ ﴾ (٩٠). ومن هذه الصور التي رسمتها الآيات السابقة يتضح أن النبي [ﷺ]، عندما كان في مكة، أحب أن يصف الجنة والنار بأوصاف ذات صبغة غليظة وخشنة، حتى تؤثر في قلوب الجمهور العربي تأثيراً قوياً، وقد أخذ التقليد الديني المتأخر هذه الأفكار ليؤسس ويبني عليها فرضِيَّاتها وملحقاتها. أما في رؤى المدينة، هو يكرر تلك الصور ويضيف إليها بعض الإضافات، فيقول في سورة الأنبياء إن الآثمين سيجدون هناك الحِصْرِم ولهيب النار: ﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨ ﴾ (الأنبياء ٢١: ٩٧- ٩٨)، ويقول في سورة الدخان إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ تكون طَعَاماً للآثمين، وتكون كالقُطْران يَغْلِي فِي بطونهم: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ ﴾ (الدخان ٤٤: ٤٣- ٤٥)(٩١). ويقول في سورة ق: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ

(٩٠) المطففين ٨٣: ٢٢- ٢٩.

(٩١) أشارت دائرة المعارف إلى أن أرقام الآيات التي أوردتها هي ٤٣- ٤٤، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة ق ٥٠ : ٢٠- ٢٤)؛ يوم نقول فيه لجهنم: هل امتلأت؟، فتقول هي: هل من مزيد؟. ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأعراف ٧: ٣٨)؛ وتجد مثل هذا المعنى في التلمود عدة مرات، (وكذلك في العهد الجديد متى ١٩ : ٢٤ ... الخ)[٩٢].

أركان الإسلام الخمسة

تناولت دوائر المعارف اليهودية أركان الإسلام الخمسة وحاولت ردَّ كلٍ منها إلى أصول غير إسلامية، فأرجعت بعضها إلى فترة ما قبل الإسلام عند عرب الجاهلية، وادعت أن معظمها لها أصول توراتية أو تلمودية، ونسبتها بشكل عام إلى ديانات سبقت الإسلام.

ويقوم الإسلام على الأركان الخمسة التالية، ولا يصح إسلام أحد إذا أغفل أيّاً منها، وهي:

١- الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله.

---

(٩٢) אוצר ישראל، עמ' 151- 152.

٢- إقامة الصلاة: يقوم المسلم بأداء الصلوات الخمس (الفجر، الظهر، العصر، المغرب، العشاء) يومياً وفي أوقاتها المحددة.

٣- إيتاء الزكاة: هي فرض على المسلم، وتُمنَح للفقراء، ويسقط هذا الفرض عن المُعْدَم الذي لا يملك شيئاً. فيجب على المسلم أن يستقطع كل عام مقداراً معيناً مما يملكه، وإذا كان مالاً يجب أن يكون قد مرّ عليه سنة كاملة دون أن يتحرك. وقد حُدِّدَت نسبة المُستَقطع للزكاة، كحكم عام، بواقع اثنين ونصف بالمائة (٢,٥٪) من مِلْكِيَّة الشخص.

٤- صوم رمضان: موعده في شهر رمضان، وهو فرض واجب على كل مسلم بالغ معافى. ويجب على المسلم أن يصوم كل أيام هذا الشهر، من صلاة الفجر (قبل بزوغ الشمس) حتى ينادي المؤذّن لصلاة المغرب.

٥- الحج: إلى المسجد الحرام في مكة المكرمة، وهو فريضة على كل مسلم بالغ، تؤدى مرة واحدة على الأقل في حياة المسلم، إذا كان قادراً على تحمل التكاليف والأعباء.

وتقول "دائرة المعارف اليهودية جودايكا"[٩٣] إن أركان الإسلام الخمسة موجودة في القرآن: والقانون الرئيس الأول هو:

أ) الشهادة: الإيمان بالله واليوم الآخر وبنبوة محمد [ﷺ] (البقرة ٢: ١٣٠، ٢٨٥؛ المائدة ٥: ٦٤).

والواجب الذي يأتي بعد هذا في الأهمية، هو:

ب) الصلاة: في أثناء فترة حياة محمد [ﷺ] كان المعتاد هو أداء ثلاث صلوات فقط يومياً، وهذا يتماثل مع الممارسة اليهودية، وهو أمر كان من الصعب الإبقاء عليه؛ والأرجح أن محمد [ﷺ] نفسه هو الذي اختار العدد خمسة (قارن الروم ٣٠: ١٦ مع البقرة ٢: ٢٣٩)، كشيء وسط بين أوقات الصلاة اليهودية الثلاثة، وأوقات الصلاة

(٩٣) Encyclopaedia Judaica, Col. 1197- 1198.

المسيحية السبعة. علاوة على ذلك، فإن القرآن قد استعار بشكل واضح تفاصيل عديدة من الممارسة اليهودية، بما فيها الطهارة الطقسية [الوضوء] التي تسبق الصلاة. إن توجُّه محمد [ﷺ] في الأصل ناحية القدس أثناء الصلاة، يُخبرنا عنه طريق التقليد المتوارث، ويؤكده القرآن بشكل غير مباشر (البقرة ٢: ١٣٦- ١٤٥). لقد كان تحويل الاتجاه في الصلاة ناحية مكة، أحد أهم الخطوات المميزة في اتجاه استقلالية الدين الجديد. ويُقال إن الصلاة الجامعة في يوم الجمعة قد نشأت محاكاة للطقس الديني اليهودي في يوم السبت. وعلى نحو واضح، يُسمَح بالتجارة والأعمال الأخرى في يوم الجمعة (الجمعة ٦٢: ١٠) وهذا يحدث مع وضع السبت في الاعتبار، ووفقاً لرأي محمد القائل بأن يوم الراحة قد عُيِّن فقط لليهود وللمسيحيين.

ج) الزكاة: (على الأرجح أنها من الكلمة الفلسطينية اليهودية[٩٤] *Zaki* [إعطاء صدقة أو صدقات]، أو צדקה [صَدَقة])، وتشير إلى حدوث تطور قانوني داخل القرآن، فمن الإحسان وعمل الخير الشخصي إلى ضريبة صدقات تجمعها الدولة. إن أعمال الإحسان التي يفرضها القرآن هي تلك المألوفة أيضاً في اليهودية والمسيحية، مشتملة كذلك على تحرير الرِّق، الذي أوصى القرآن به مراراً، من السور الأكثر قدماً حتى السور المتأخرة جداً (النساء ٤: ٩٢؛ المائدة ٥: ٨٩؛ المجادلة ٥٨: ٣؛ البلد ٩٠: ١٣، الخ)[٩٥]، وقد كانت هذه الأعمال، أيضاً، ذات مغزى ديني لكلا الديانتين.

---

(٩٤) أي أن هذه الكلمة من "اللغة الآرامية الفلسطينية اليهودية" (Jewish Palestinian Aramaic) وهي واحدة من مجموعة اللغات الآرامية، وكانت موجودة في فلسطين.

(٩٥) أشارت دائرة المعارف إلى النساء ٤: ٩٤؛ المائدة ٥: ٩١؛ المجادلة ٥٨: ٤؛ البلد ٩٠: ١٣. وجدير بالملاحظة أن الآيات المشار إليها في سور النساء والمائدة والمجادلة فيها خطأ في تحديد موضع الآية المشار فيها إلى "تحرير رقبة"، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

د) الصوم: وفقاً لدليل تحداري، أمر محمد [ﷺ] في البداية بصوم يماثل صوم يوم الغفران اليهودي، ويدوم يوماً واحداً (في العربية: عاشوراء؛ في العبرية: עָשׂוֹר العاشر [اللاويين ٢٣ : ٢٧])، ثم أحلَّ محله صوماً يبدأ من شروق الشمس حتى غروبها، طوال شهر كامل هو شهر رمضان. ويُجِلّ محمد [ﷺ] نفسه هذا الصوم، لأن ذكرى "نزول" القرآن تقع في هذا الشهر، وهذا يجب أن يُقارَن بالتصور اليهودي ليوم الغفران بوصفه يوم منح اللوحات الثانية للشريعة. وتفاصيل النظم المتعلقة بالصوم (البقرة ٢ : ١٨٣-١٨٥)(٩٦) تُظْهِر تأثيراً يهودياً على نحو متكرر.

هـ) الحج إلى مكة هو الوصية الخامسة الرئيسة في الإسلام، وتجدر الإشارة إلى أن النُظُم المُفَصَّلَة بعض الشيء الواردة في القرآن، والمتعلقة بالحج، مستمدة من العادة الوثنية التي ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام.

وقد وصل "الجهاد" — أي الحرب المقدسة ضد الكافرين - إلى الحد الذي يمكن أن يُعلن عنه بوصفه الركن السادس من أركان الإسلام(٩٧).

واجبات المسلم

تقول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة"(٩٨) إن النظام القرآني الذي يحدد واجبات الفرد يؤكد، قبل كل شيء، على العقيدة، و — مثل اليهودية- على أهمية الأعمال

(٩٦) استشهدت دائرة المعارف بالآيات ١٧٨- ١٨٣ ؛ وهذا غير دقيق، والصواب هو الآيات رقم ١٨٣- ١٨٥ وقد أثبتنا ذلك بالمتن.

(٩٧) Encyclopaedia Judaica, Col. 1198

(٩٨) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 453.

الحسنة. وعلاوة على الجَهر بالإيمان والعقيدة، فإن أهم الواجبات الدينية التي تُمارَس في الإسلام، هي:

١- الصلاة، وتكون بعد اغتسال شعائري مفروض، ويؤديها المسلم وهو حافي القدمين، متوجهاً نحو اتجاه مفروض (باتجاه مكة)، وفي وضع مفروض؛ واليوم المقدس من أيام الأسبوع هو يوم الجمعة، ومع ذلك، فإن الأعمال الاعتيادية والتجارة مُرخَّص بها في هذا اليوم.

٢- الصوم طوال الشهر التاسع، أي شهر رمضان؛ ويدوم الصوم كل يوم من شروق الشمس حتى غروبها[٩٩].

٣- الحج إلى الكعبة في مكة، ويؤديه الفرد مرة واحدة على الأقل في حياته.

٤- الصَدَقَة [الزكاة]، وهي في شكل ضريبة صدقة، وقد حُدِّدَت في وقت متأخر كحكم عام بواقع اثنين ونصف بالمائة (٢ ١/٢ ٪) من مِلْكِيَّة الشخص.

٥- تحريم مُتَع معينة (شرب الخمر، المقامرة، أكل لحم حيوانات معينة، مثل الخنزير)[١٠٠].

بالإضافة إلى الطقوس الدينية الشعائرية، يحتوي القرآن على أوامر أخرى عديدة ذات سمة أخلاقية إلى حد بعيد، التي يحرز بها الكثيرون مكانة عالية من الروحية الأخلاقية. وأثناء إقامة محمد [ﷺ] المؤقتة في المدينة، أدخل واجب المشاركة في الحرب المقدسة (الجهاد) ضد الكافرين. ولقد كان الجهاد موجهاً في البداية، وبالدرجة الأولى،

(٩٩) البقرة ٢: ١٨٣- ١٨٧.

(١٠٠) سورة البقرة ٢: ١٧٣، ٢١٩؛ المائدة ٥: ٣، ٩٠- ٩١؛ النحل ١٦: ١١٥.

ضد أهل مكة وحلفائهم من العرب، ولكنه امتد في وقت لاحق ليشمل كل الكافرين[١٠١].

العلاقة بين الله والإنسان

تتناول "دائرة المعارف العبرية" قضية العلاقة بين الله والإنسان، وترى أن هذه العلاقة تأخذ مكاناً رئيساً ومركزياً في القرآن: فالمسلم مطالب بالإيمان بالله، وملائكته، ورسله، ونبيه محمد [ﷺ]، ويوم الحساب، والبعث، وكذلك تشريعات ووصايا أخرى، جاءت لتأسيس حياة المسلم على قاعدة الدين الجديد، وتتصل بالحساب والعقاب، والمحاذير أو الأعمال المحرمة، مثل تحريم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، والصيد وما فيه من أحكام الصيد في الأماكن المقدسة، والتجارة وما فيها من تحريم للربا، والحرب، والشهادة، والنذور ... الخ. وقد كانت هذه التشريعات الأساس للشريعة الإسلامية. كما اهتم القرآن بشكل كبير بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. وتدَّعي دائرة المعارف العبرية أن الكثير من فقرات القرآن متأثرة على وجه الخصوص بالعهد القديم، والتفاسير، والعهد الجديد، وهي تشتمل على قصص تحكي عن أشخاص سبقوا محمد [ﷺ] واعتبروا أنبياء، مثل: آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وداود، وسليمان، ويوحنان المعمدان، والمسيح، وآخرين، وكذلك الأنبياء العرب هود وصالح. وقد وُصِف إبراهيم بأنه الموحد الأول، ومرات عديدة تُوصَف معاناة كثير من الأنبياء نتيجة كراهية شعوبهم لهم. وتؤكد هذه الأوصاف الشخصية التشابه بين وضع الأنبياء

---

(١٠١) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 453.

السابقين ووضع محمد[ﷺ]، الذي كان مضطهداً ومكروهاً كذلك. ومع هذا، توجد في القرآن بعض التفاصيل القليلة عن ترجمة حياة محمد [ﷺ][١٠٢].

موقف القرآن من أهل الكتاب

تكثر كذلك آيات الجدل مع اليهود والنصارى، واعتبر القرآن بعض أهل الكتاب من المؤمنين بالله، ولذلك فإن هذا البعض يستحق الأجر والثواب من الله (آل عمران ٣ : ١٩٩ ؛ الأعراف ٧: ١٥٩). ولكن القرآن يتهم معظم اليهود بتحريف التوراة، وبرفض نبوءة محمد [ﷺ]، وانضمامهم لأعدائه بسبب تعصبهم وغيرتهم منه و كراهيتهم له (النساء ٤ : ٤٤- ٤٧ ؛ المائدة ٥ : ٤١- ٤٤)، إلى درجة أنه اتَّهم اليهود بقتل الأنبياء (البقرة ٢ : ٨٧ ؛ آل عمران ٣: ١١٢)، ومخالفة قادتهم، عندما أقاموا مثلاً العجل الذهبي (البقرة ٢: ٥١- ٥٤ ؛ الأعراف ٧: ١٤٨- ١٥٢)، وانتهكوا شرائع التوراة التي منحت لهم، عندما دنسوا السبت وتعاملوا بالربا (الأعراف ٧: ١٦٣- ١٦٧ ؛ النساء ٤ : ١٦١). وقد هاجم القرآن النصارى بوجه خاص لاعتقادهم أن يسوع [عيسى] هو ابن الله، مع أنه نبي فحسب. إن هجوم القرآن على اليهود كان أكثر حدة، حيث أن معارضتهم للمؤمنين كانت أشد من معارضة النصارى (المائدة ٥ : ٨٢)، لذلك ضُرِبَت عليهم الذِّلَّة والمَسْكَنَة (البقرة ٢ : ٦١)، وقد تجلت هذه النظرة إلى اليهود بشكل عملي في طردهم من المدينة[١٠٣].

(١٠٢) האנציקלופדיה העברית، עמ" 50.

(١٠٣) האנציקלופדיה העברית، עמ" 50- 51.

الاعتقاد في الله في القرآن

وتقول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة" إن الميزة البارزة والمركزية للعَقَدِيَّات القرآنية هي التصور الذي يؤكده القرآن لوحدة الله، وإرادته كلية السلطة والنفوذ، والذي يتصرف على أساس أحكام غامضة. وتقول إن التوحيد الذي جاء به محمد [ﷺ]، والمُتضَمَّن في عقيدة "لا إله إلا الله"، يمثل إلى حد ما عودة إلى الشكل الأقدم لديانة العرب الوثنية، الذي كان الله فيها، على الأرجح في البداية، هو المعبود الحاكم لآلهة العرب، ثم حلَّ محله في وقت متأخر آلهة قبلية خاصة ومتعددة. وكانت الملائكة أيضاً، كانت تُعبَد بوصفها "بنات الله"، بالإضافة إلى الأرواح الحارسة، أو الجن. وكانت عبادة الحجارة المقدسة وتأليهها منتشرة على نطاق واسع بين جميع الشعوب السامية، وبلغت ذروتها في عبادة العرب للكعبة، وهي كتلة حجرية سوداء في حرم مكة، جلبتها الملائكة- حسب الخرافات والأساطير - لإبراهيم من الفردوس. وهكذا قام محمد [ﷺ]، في استيلائه على كل عناصر العبادة هذه، بتقديم تنازلات للماضي، ولكنه ركّز العبادة وشخص المعبود في الله، الواحد الأحد(١٠٤).

قصص القرآن – اختلافها وغموضها

ترى "دائرة معارف كنز إسرائيل" أن اختلاط الأفكار المختلفة وتداخلها في القرآن يرجع إلى عدم معرفة محمد [ﷺ] بالقراءة والكتابة، وأن كاتبه الخاص هو الذي كتب كل رؤاه التي تجلَّت له، ولذلك زاد فيه الغموض واللبس، وكثرت الإضافات. وبعد موت محمد [ﷺ] قام الخليفة الأول، أبو بكر[رضي الله عنه]، بترتيب هذه المجموعة من الكتابات الأدبية وأضاف إليها نبوءات مختلفة كانت متداولة ودارجة على ألسنة المؤمنين. ولكنهم لم

---

(١٠٤) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 452.

يحاولوا ضم السور المرتبطة مع بعضها البعض من حيث المكان والزمان أو البناء والمحتوى، وكل ما فعلوه هو أنهم وضعوا السور الطويلة في بداية الكتاب، ثم أتبعوها بالسور القصيرة في نهايته، ولذلك لا توجد سور في القرآن يمكن وصفها بأنها مبكرة، وأخرى متأخرة، أو سور تسبق أخرى من حيث الزمن. وكذلك ترى "دائرة المعارف" أن السور ذاتها تفتقر إلى وجود رابط داخلي في محتواها، إلى درجة أننا عندما نقرأها تتملكنا الدهشة من عدم ترابط الجُمَل والأجزاء والأقسام المتباينة والمختلفة التي يتلو بعضها البعض. وبعد وفاة أبي بكر [ﷺ]، كان كافياً للخليفة الثالث عثمان [ﷺ] أن يُسرِع بتنظيم نصوص القرآن وترتيبها وتعديلها وتهذيبها، وإزالة الإضافات والتشويشات الكثيرة التي وجدت فيها، وإعطاء القرآن الصورة النهائية التي نجده عليها الآن، وإبادة كل الكتب المُحَرَّفة والمُصَحَّفة التي يعتريها الارتباك والتي كانت موجودة حتى ذلك الوقت بين يدي المؤمنين، وذلك حتى لا تكون هذه الأمور عائقاً أمام قارئي القرآن(١٠٥).

وتقول "دائرة معارف كنز إسرائيل" إنهم أسقطوا كل أقوال النبي [ﷺ] التي لم يجدوا فيها قيمة النبوءة والوحي، وحذفوها من القرآن، لكنهم ظلوا يتناقلون تلك الأقوال شفاهة من جيل إلى جيل، وفي النهاية تم جمعها في كتاب وكانت للأجيال التالية المصدر الذي استقوا منه أحكامهم وقيمهم وتقاليدهم(١٠٦). ومن مثل هذه الأقوال، تلك التي وردت على لسان السيدة عائشة، زوجة محمد [ﷺ]، والتي استمعت لتلك الأقوال من فم زوجها، أو من فم تابعيه الأوائل الذين رافقوه في طريقه من مكة إلى المدينة، أو انضموا إليه بعد ذلك، وكذلك على لسان التابعين الذين جاءوا بعده ممن التقوا بمساعدي النبي [ﷺ]. وقد كان ذلك الإرث كبيراً جداً، وكان منه المُلَفَّق على لسان السيدة عائشة،

(١٠٥) אוצר ישראל، עמ" 150- 151.

(١٠٦) يبدو أن دائرة المعارف هنا تشير إلى كتب الحديث النبوي الشريف (كتب السُنَّة).

أو على لسان الهائمين فيه، ورغم ذلك، أصبحت هذه الأقوال بمرور الوقت أساس مؤسسة القضاء الإسلامي، والسائد اليوم في عهدنا، وعلى لسانهم يتخذ القضاة القول الفصل في النزاع عن طريق الموافقة والمطابقة(١٠٧).

وتقول "دائرة معارف كنز إسرائيل"، أيضاً، إن بين هذه الأمور من الإصلاحات والوصايا والشرائع في الدين والسلوك، تختلط النوادر والروايات والقصص الجميلة عن حياة الأنبياء والمشهورين، في الكتب المقدسة؛ أو صور من الجنة وجَهَنَّم التي تجذب الألباب. وها هو محمد [ﷺ]، هو المستمع لكلمة الرب، والله هو المتحدث عبر حَلْقه ومتوجّاً بكلمته إلى النبي أو إلى الناس. ويُفَرِّق التقليد الديني بين السور التي ظهرت في مكة وتلك التي قيلت(١٠٨) في المدنية، فسور مكة قيلت بحماس شديد وبروح شعرية كامنة فيها، في الوقت الذي كان يمتلئ فيه بالقوى الخفية وينتظر عظائم الأمور، أما السور المدنية فقد كانت تحتوي فقط على تشريعات وقوانين، وإصلاحات وأوامر جادة. ومع ذلك وجدنا في السور المكية أجزاء قيلت في المدينة وحدث العكس كذلك، حينما يتجلّى تغير المصطلحات واختلاف التعبيرات وأسلوب النطق والكلام. ومن الملاحظ وجود ثلاثة أو أربعة أحرف متفرقة قبل بعض السور، وقد كثرت حولها التفسيرات، وتدَّعي "دائرة معارف كنز إسرائيل" أنها الحروف الأولى لأسماء كتبة هذه السور حسب عثمان ومعاونيه(١٠٩).

---

(١٠٧) אוצר ישראל، עמ" 151.

(١٠٨) حرفياً، وردت في دائرة المعارف: "**נאמרו**" بمعنى "قيلَت، ذُكِرَت، حُكِيَت، سُرِدَت"، وجميعها لا تعطي معنى نزولها وحياً، ولا تُشعِر القارئ أن "الله" سبحانه هو قائلها. **אוצר ישראל، עמ" 151**.

(١٠٩) **אוצר ישראל، עמ" 151**. راجع ما ذكرناه بخصوص "فواتح السور" عند تناولنا للبناء والمحتوى في هذا البحث. وانظر كذلك: زرزور، علوم القرآن، ص ص ١٥٣ – ١٥٦؛ الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ص ٢٣٤- ٢٣٥.

الله وخلق العالم

وقد اختارت "دائرة المعارف اليهودية" عدداً من الآيات القرآنية، التي رأت أنها تشير إلى أهم عناصر الإيمان التي يركز القرآن على تلقينها، ورأت أن هذه الآيات المختارة تعطينا فكرة تقريبية للغة القرآن وأسلوب تفكيره. وقد وُضِعت هذه الآيات في ثلاث مجموعات، تناولت موضوعات: "الله وخلق العالم" و "يوم الحساب الأخير- البعث والنشور" و "جهنم والفردوس"(١١٠).

تحت عنوان "Allah and Creation" "الله وخلق العالم" اكتفت "دائرة المعارف اليهودية"(١١١) بإيراد ترجمة معاني الآيات التي تشير إلى هذا الموضوع في القرآن الكريم، وذلك على النحو التالي:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ (البقرة ٢: ١١٧). ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ (آل عمران ٣: ٤٧). ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ (آل عمران ٣: ٥٩). ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى

(١١٠) The Jewish Encyclopedia, P. 558.

(١١١) The Jewish Encyclopedia, P. 558.

كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنعام ٦: ٥٩). ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (يونس ١٠: ١٠٧). ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنبياء ٢١: ٣٠). ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (يونس ١٠: ٥). ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل ١٦: ٥- ٨). ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (النحل ١٦: ١٠- ١١). ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا

وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ (النحل ١٦ : ١٤)﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ (غافر ٤٠ : ٦٧).

يوم الحساب الأخير – البعث والنشور

تحت عنوان "Last Judgment; Resurrection" (يوم الحساب الأخير- البعث والنشور) اكتفت "دائرة المعارف اليهودية"[(١١٢)] بإيراد ترجمة معاني الآيات التي تشير إلى هذا الموضوع في القرآن الكريم، وذلك على النحو التالي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج ٢٢ : ١- ٢). ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ

(١١٢) The Jewish Encyclopedia, P. 558.

أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف ١٨ : ٤٧- ٤٩). ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء ٢١ : ٤٧). ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحج ٢٢ : ١٧).

جهنم والفردوس

تحت عنوان "Hell and Paradise" (جهنم والفردوس) اكتفت "دائرة المعارف اليهودية"(١١٣) بإيراد ترجمة معاني الآيات التي تشير إلى هذا الموضوع في القرآن الكريم، وذلك على النحو التالي:

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف ١٨ : ٢٩).

---

(١١٣) The Jewish Encyclopedia, PP. 558- 559.

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن
نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ (١٩) يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ (٢٠)
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ (٢١) كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا
وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ (٢٢) ﴾ (الحج ٢٢: ١٩- ٢٢) ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ
ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩)
وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا (٢١) وَجَآءَ رَبُّكَ
وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا (٢٢) وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۢ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ
لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ
أَحَدٞ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ (٢٦) ﴾ (الفجر ٨٩: ٢١- ٢٦).

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ (٨) لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ (١٠) لَّا تَسۡمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةٗ (١١) فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ (١٢) فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ (١٣) وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ (١٤)
وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ (١٦) ﴾ (الغاشية ٨٨: ٨- ١٦) ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ
لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤)
يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ (٢٥) خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ
ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ (٢٧) عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴾

(المطففين ٨٣ : ٢٢- ٢٨) ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر ٨٩ : ٢٧-٣٠).

وتتناول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة" مسألة الإيمان بالأخرويات في القرآن الكريم، فتقول إن القرآن قد وجد وسيلته في التعبير عن فكرة يوم الحساب الأخير، والجَنَّة (الفردوس)، وجهنم. ووَصْف الجَنَّة المأهولة بالعذارى الجميلات الفاتنات(١١٤) لا يُذَكِّرنا فقط بالأفكار اليهودية والمسيحية والمندعية، ولكنه أيضاً يشبه إلى حدّ بعيد حانة الخمر عند الشعراء الفرس. أما وصف جهنم الوارد في القرآن فإنه يحتوي على آثار كثيرة وتقليد ومحاكاة لتصورات يهودية متأخرة. لقد قُدِّر يوم الحساب لكي يبرهن، في آخر الزمان، على المهمة السماوية للأنبياء الحقيقيين، ولكي يتحقق تسليم الشرير إلى العقوبة السرمدية. وقد اعتبر "المحمديون" [أي: المسلمون] أسلوب القرآن بما يتضمنه من إبداع أدبي، أسلوباً فريداً لا يُضاهى، وأنه ذروة الكمال الشعري. إن السور التشريعية والجدلية المتأخرة بوجه عام، يمكنها بصعوبة أن ترقى إلى مثل هذا المستوى، أما السور المبكرة وأجزاء أخرى مثل "آية الكرسي" (البقرة ٢ : ٢٥٥) (١١٥) فإنها نادراً ما تُظْهِر أية عظمة أو فخامة شعرية، وهي أدنى درجة ومنزلة من الفقرات الأسمى الواردة في العهدين القديم والجديد(١١٦).

---

(١١٤) يقصد "حور الجَنَّة". حور : بيض، وهي جمع حوراء، والحوراء: البيضاء؛ وقد وُضِعت كلمة (houris) بالإنجليزية في نص دائرة المعارف.— [حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ] (الرحمن ٥٥ : ٧٢).

(١١٥) ورد رقم الآية ٢٥٦ في دائرة المعارف، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(١١٦) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 453.

وفيما يتعلق بمسألة الإيمان بالأخرويات، كالبعث ويوم الحساب، تقول "دائرة المعارف اليهودية جودايكا"(١١٧) إن السور الأقدم (على سبيل المثال: السور ٨٠ – ٨٢، ٨٤ – ٩٧، ٩٩ – ١٠٧)(١١٨) تُظهِر – في ذلك الحين – الهَوْل الساحق ليوم الحساب الأخير، الذي من الممكن أن يكون على وشك الوقوع في أي وقت، بالإضافة إلى شعور العِرْفان بالجميل نحو الخالق والهادي، وهذه السور هي التي يواجه بها محمد [ﷺ] البخل والجشع المجرد من المبادئ الخلقية، والثقة بالنفس المتغطرسة لمواطنيه. إن الاعتقاد في حساب الله يتجلّى في المقام الأول في أعمال الخير والإحسان، ولكن أيضاً في الصلاة وكثير من انحناءات الشخص احتراماً وإجلالاً، وجميع هذه الأمور من شأنها أن تُطَهِّر الشخص وتخلّصه. وتوجد في السّور المتأخرة آيات كثيرة مُكَرَّسة للقضايا الأخروية، مثل البعث والنشور، والحساب الأخير، والجَنَّة، وجَهَنَّم.

إن الدليل الأدبي الفني الدقيق على صدق الرسالة المحمدية وعلى المصدر الإلهي للقرآن هو هذا الوصف ليوم القيامة، ووصف الجنة ونعيمها ووصف النار وعذابها، فإن محمداً ﷺ لم يشهد أثناء حياته المادية شيئاً يقرب من وصف القيامة أو وصف الجنة ولو وصفاً خيالياً أو تقريبياً، كما أنه كذلك لم يشهد شيئاً يقرب من وصف جهنم أو عذابها وأهم من هذا فإن الكتب الدينية التي سبقت القرآن الكريم، كالتوراة والإنجيل والتلمود والمشنا والهَجَّاداه(١١٩) لم يرد فيها وصف أحد هذين المكانين، فمن العبث إذن أن نبحث

---

(١١٧) Encyclopaedia Judaica, Col. 1196.

(١١٨) وهذه السور حسب ترتيبها هي: عَبَس، التكوير، الانفطار، الانشقاق، البُرُوج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البَلَد، الشمس، الليْل، الضُّحى، الشَّرح، التين، العَلَق، القَدْر، الزّلْزَلة، العاديات، القارعة، التكاثُر، العَصْر، الهُمَزة، الفيل، قُرَيْش، الماعون.

(١١٩) הַגָּדָה، "Haggadah"، "هَجَّاداه" في العبرية لها معان كثيرة، منها: قَوْل، سَرْد؛ قوْل مأثور، حكاية، قصة، نادِرَة (دينية مثلاً)، أسطورة، أُحْدُوثة؛ خُرافَة. وتحتوي كتب الهَجَّاداه =

عن جنة أو نار في اليهودية بهذا الوصف الذي نجده في القرآن الكريم. وكذلك، فإن العهد الجديد لا يذكر عن الحياة الآخرة شيئاً إلا الحساب وملكوت السماوات، وليس من اليسير أن يتصور المرء ماهية ملكوت السماوات المشار إليه، والثواب عندهم هو دخول ملكوت السماوات والعقاب عندهم هو المنع من دخول ملكوت السماوات (متى ١٩ : ٢٤)[١٢٠].

قصص العهدين القديم والجديد

إن قصص القرآن الكريم هي قصص لأمور واقعة، تُساق للعبرة وإعطاء المثل، وتبين للناس مصير الضالين، ومنزلة المهتدين. وتهدف إلى تصديق الأنبياء والمرسلين وإحياء ذكراهم، وتخليد آثارهم، والإشارة إلى فضلهم ومكانتهم العالية عند الله عزّ وجلّ. وتستخدم هذه القصص في التوجيه والتربية، كما أنها تبين بعض الأحكام الفقهية الشرعية[١٢١].

= اليهودية على حكايات وقصص وأساطير مستمدة من العهد القديم إلا أنها لا تأخذ الشكل الأدبي الذي نجده في العهد القديم، فهي لا تحتوي على مادة تشريعية. والهَجَّاداه هي مؤلفات تُستخدم في الطقوس الدينية، مثل الفصح. وترجع عناصر الأساسية إلى زمن قديم، حيث رُسِمَت خطوطها في زمن المشنا، منذ أكثر من ألْفَي عام. ومن أهم نصوص "الهاجاداه" وأشهرها، حكاية عيد الفصح، وهي تلك القصص والأساطير التي تصاحب عيد الفصح اليهودي، والتي يقوم ربُّ الأسرة بروايتها على مائدة الفصح لجميع أفراد أسرته. وهي قصة مستمدة في الأساس من سفر الخروج مع تغليفها ببعض الأساطير التي تصور المعجزة التي حدثت لبني إسرائيل عندما تحرروا من حياة العبودية في مصر، على حد تصويرهم لهذه الفترة. "The Jewish Encyclopedia, see: "Haggadah.

(١٢٠) جمعة، نظرات *عصرية في القرآن الكريم*، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص ٣٩.

(١٢١) عماد زهير حافظ، *القصص القرآني بين الآباء والأبناء*، ط ١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ص ١٣- ١٦.

ومن الظواهر التي شغلت المستشرقين مسألة التكرار في القصص القرآني، وهي في الحقيقة ظاهرة واضحة، لافتة للنظر، تدعو لكثير من التساؤل. وقد وجد فيها أعداء الإسلام مدخلاً يدخلون منه للطعن في القرآن، والنيل من بلاغته وإعجازه، حتى يخلصون إلى القول بأن هذا الأسلوب يتناقض مع دعاوى المسلمين بأنه مُعْجِز، وأنه منزل من السماء. ويدَّعي أعداء الإسلام بأن هذا الخلط والتكرار الذي وقع فيه، هو أثر من آثار الحالة النفسية التي كان يخضع لها الرسول الكريم بين الحين والآخر، فتخرجه عن وعيه، وتجعله يردد كلماته التي ينطق بها متقطعة ومتكررة. والواقع أن هذا التكرار المُشار إليه في القصص القرآني، ليس تكراراً للحدث، ولا إعادة للواقعة بصورتها التي عرضت بها أولاً، بل إن أكثر القصص القرآني تتكرر فيه الشخصية، ولا تتكرر فيه الحادثة. إن الأحداث والوقائع هي المقصودة أولاً في القصص القرآني، ثم تأتي الشخصيات المتعلقة بهذه الأحداث ثانياً، حيث إن الشخصية في القصص القرآني ليست هي المقصودة لذاتها، لأن موضع العبرة والعظة إنما هو في الحدث، وموقف الناس منه[١٢٢].

وقد ذهب بعض المستشرقين الناقدين إلى أن القرآن قد أورد في قصصه بعض المسائل التي تخالف ما ألفوه من معارف تاريخية، فقالوا أن القرآن قد ذكر هامان وزير أحشويروش، بصفته وزيراً لفرعون[١٢٣]، وأنه قال إن مريم أخت موسى، هي نفسها مريم أم المسيح[١٢٤]، وأن آزر هو أبو إبراهيم عليه السلام[١٢٥]، وأن الله عز وجل قد بشر سارة

(١٢٢) عبد الكريم الخطيب، *القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف*، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٤م)، ص ص٤٢- ٤٣، ٢٣٢- ٢٣٣.

(١٢٣) القصص ٢٨ : ٣٨.

(١٢٤) مريم ١٩ : ٢٨.

(١٢٥) الأنعام ٦ : ٧٤.

بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب(١٢٦).

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم احتوى على قصص وشخصيات وردت في العهد القديم، ولكن القصص القرآني والشخصيات القرآنية تختلف إلى حد بعيد في روايتها بالمقارنة مع ما يقابلها في العهد القديم. وإذا كان بعض المستشرقين يأخذون على القرآن أنه ذكر هامان - وزير أحشويروش - وزيراً لفرعون، وأنه قال إن مريم أخت موسى هي نفسها مريم أم السيد المسيح، وإذا كانوا ينتقدون قصة الإسكندر ذي القرنين، فإن هذه الأمور جميعها كانت معلومة للأقدمين، ولم تكن معلومة لعرب الجزيرة العربية في زمن نزول القرآن، ولما اكتشف علماء الآثار الكثير مما ذكره القرآن الكريم، كانت هذه الاكتشافات من نقوش ومسكوكات دليلاً على الإعجاز الذي يجسده القرآن الكريم، ودليلاً على أنه ليس من صنع بشر(١٢٧).

وتقول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة"(١٢٨) إن قصص الكتاب المقدس الواردة في القرآن تمتد من خلق العالم حتى عزرا، الذي اعتبره اليهود، حسب ما يدعيه محمد [ﷺ]، أنه ابن الله(١٢٩). ورواية القرآن لخلق العالم ليست متناغمة مع نفسها وليست متماسكة، وهي تُظهِر بعض الآثار اللافتة للنظر لنظرية نشأة الكون الواردة في المزامير. وتعتبر قصة إبراهيم أعظم قصص الكتاب المقدس وأروعها، حيث يصوره محمد [ﷺ] بوصفه أول مؤمن حقيقي، والإنسان المثالي، بل إنه أطلق على تعاليمه هو نفسه "دين إبراهيم". واعتبر محمد [ﷺ] نفسه خاتم الأنبياء الحقيقيين وآخر سلسلة رجال الله المُلهَمين، المُوحَى

---

(١٢٦) هود ١١ : ٧١.

(١٢٧) جمعة، *نظرات عصرية في القرآن الكريم*، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص ص ٢٧ – ٢٨.

(١٢٨) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 453

(١٢٩) [وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ... ...] (التوبة ٩ : ٣٠).

إليهم بوحي إلهي، والذي كان من أهمهم آدم، ونوح، وموسى، وعيسى؛ ومع ذلك، لم يعترف بأن الأخير [أي عيسى] هو ابن الله.(١٣٠)

وقد زعمت "دائرة المعارف اليهودية" أن القرآن قد اقتبس من "الهَجَّادَاه"، وهي من الكتب اليهودية التي تتضمن قصص وحكايات وأساطير مستمدة من العهد القديم، وكثير منها خيالي، وأهمها ما كان يحكي قصة خروج بني إسرائيل من مصر، بعد تغليفها بالأساطير، ويرويها رب الأسرة على مائدة الفصح. ومثل هذه الكتب لم تكن معروفة عند عرب الجزيرة، ولم تعرفها بيئة النبي محمد ﷺ، ومن ثم، فإن الأخذ عنها يُعَدّ في حكم المستحيل لأن الذي يريد أن يضع ديناً أعلى من الأديان السابقة وكتاباً أرقى وأصدق من الكتب المسلم بصدقها لا يعقل أن يرجع في ذلك أو يعتمد على أضعف الروايات التي لا يمكن أن تكون مرجعاً، لأن هذه "الهَجَّاداه" مليئة بالأساطير حسب وصف اليهود لها، في الوقت الذي يعرض فيه عن التوراة والإنجيل، وهما بين يدي اليهود والنصارى، وكان بعضهم يقيم في مكة والمدينة ونجران واليمن وسائر بلاد العرب والشرق وفيهم الأحبار والقسس والعلماء(١٣١).

تقول "دائرة المعارف اليهودية"(١٣٢) إنه رغم أن الشواهد التي يمكن اقتباسها من القرآن تحتوي على الكثير من الأساليب التعبيرية والبلاغية، فإنها كثيراً ما تُذَكِّرنا - وعلى نحو متكرر - بشواهد مماثلة في العهدين القديم والجديد. إن نقاط التلامس هذه هي وافرة بكثرة بسبب أن محمد [ﷺ] يردد الكثير من قصص الكتاب المقدس. وتوجد هذه القصص في السور المتأخرة على وجه الخصوص، وهي التي لديها كل خصائص المواعظ.

(١٣٠) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 453.

(١٣١) جمعة، نظرات عصرية في القرآن الكريم، ص ص ٢٨ – ٢٩.

(١٣٢) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

والموضوعات الرئيسة التي أُخِذَت من العهد القديم هي: قصة الخَلْق، أي خلق العالم؛ وقصة قايين وهابيل؛ وقصة نوح؛ وقصة إبراهيم وأبنائه؛ وقصة يعقوب وأبنائه؛ وموسى وهارون؛ وشاؤل؛ وداود وسليمان؛ وأيوب ويونا (يونس). أما بالنسبة للعهد الجديد، فإنه إلى جانب عيسى ومريم، لم يُذكَر إلا يوحنا فقط. وفي القصص المأخوذة من العهد القديم، كثيراً ما يتبع القرآن في عرضها نهج أساطير "الهَجَّادَاه" اليهودية، أكثر من إتباعه روايات الكتاب المقدس، وذلك على نحو ما أشار إليه "جيجر" (Geiger) في كتابه الذي نُشِر في بون سنة ١٨٣٤م، وأُعيد نشره في طبعته الثانية سنة ١٩٠٢م في برلين.

على سبيل المثال، قصة تدمير إبراهيم للأوثان في بيت أبيه، وجوابه على أولئك الذين سألوه على مَن فعل ذلك (الأنبياء ٢١: ٥٨- ٦٤)، تتفق مع ما ورد في مدراش التكوين الكبير[١٣٣] (بريشيت رَبَّا ١٧)؛ والعلامة التي برأت يوسف من الإثم (يوسف ١٢: ٢٤) تتوافق مع ما ورد في سيدر ناشيم[١٣٤] (سوتا ٣٦ب)؛ ورفض موسى قبول

(١٣٣) "مدراش التكوين الكبير" [بالعبرية: מִדְרָשׁ בְּרֵאשִׁית רַבָּה مدراش بريشيت رَبَّا]، هو المُؤَلَّف الذي يتناول مجموعة من التفاسير والأساطير الواردة في سفر التكوين، وهو أول سفر من أسفار التوراة. و "مدراش رَبَّا" [بالعبرية: מִדְרָשׁ רַבָּה] أي "المدراش الكبير"، أو "التفسير الكبير" وهو مُؤلَّف يحتوي على مجموعة التفاسير والأساطير التي تناولت ما ورد في الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، وهي الأسفار التي تتكون منها "التوراة"، وهي الجزء الأول من كتاب العهد القديم.

(١٣٤) "سيدر ناشيم" סֵדֶר נָשִׁים (قسم النساء)، هو القسم الثالث من أقسام المشنا، وهي نفس أقسام التلمودين البابلي والأورشليمي، ويتناول النُظُم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق، وغير ذلك من الأحكام التي تحدد العلاقات بين الزوجين. ويحتوي هذا القسم على سبعة مباحث أو فصول، يسمى الواحد منها "مَسّيخيت" (מַסֶּכֶת)، وهي: فصل "ياموت" (יְבָמוֹת)، ويعالج موضوع وفاة الزوج الذي مات دون أن يترك له ذُرِّيَّة، ووجوب زواج الأخ من امرأة =

الطعام من امرأة مصرية (القصص ٢٨ : ١٢)[١٣٥] يشبه ما ورد في سيدر ناشيم (سوتا ١٢ب) ؛ وقصة سليمان وملكة سبأ (سورة النمل)[١٣٦] تنسجم مع تفسير الترجوم الثاني لإستير ١ : ١٣[١٣٧].

ومصادر الكثير من هذه القصص المستعارة غير معروفة. وهكذا، على سبيل المثال، فإن القصة الواردة في "سفر هَيَّاشَار"[١٣٨] الخاصة بالنساء المصريات اللائي قطعن أصابعهن عندما ذُهِلْن وارتبكن عند رؤيتهن جمال يوسف (يوسف ١٢ : ٣١) مبنية على

= أخيه الذي تُوفي دون أن ينجب، وفصل "كتوبوت" (כְּתֻבּוֹת) وهو يعالج موضوع كتاب أو عقد الزواج، وطريقة عقد العقود وما تتضمنه من شروط لإتمام الزواج، وفصل "نْداريم" (נְדָרִים) أي "النُذُور" ويبحث في النذور والقرابين التي ينذرها الإنسان تقرباً إلى الله، وفصل "نازير" (נָזִיר) ويتناول أحكام الزاهد المُتَبَتِّل المُنْقَطِع لعبادة الله، وفصل "سوطا" (סוֹטָה) بمعنى "خائنة، وخاصة مَنْ تخون زوجها"، وهو فصل يعالج موضوع الخيانة الزوجية، وفصل "جِطِّين" (גִּטִּין) أي الطلاق، و يبحث في شؤون الطلاق وعتق العبيد، وفصل "قيدوشين" (קִדּוּשִׁין) ومعناها "عقد قِران، عقد مراسم الزواج، مراسيم الزفاف"، ويتناول أحكام الزواج، والطرق المتبعة حتى يمتلك الزوج زوجته.

(١٣٥) ورد رقم الآية ١١ في دائرة المعارف، والصواب هو ما أثبتناه في المتن. [وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ] (القصص ٢٨ : ١٢).

(١٣٦) وردت قصة سليمان وملكة سبأ في سورة النمل ٢٧ : ٢٢- ٤٤.

(١٣٧) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

(١٣٨) סֵפֶר הַיָּשָׁר "سفر هَيَّاشَار" [Sefer ha-Yashar] هو كتاب قديم ورد ذكره في العهد القديم (يشوع ١٠ : ١٣)، ويحكي عن بطولات بني إسرائيل في القدم. ويُطلق أيضاً على كتاب وعظ يُعتَقَد بأنه كُتِب في القرن العاشر ويسرد قصص التوراة.

القصة المحمدية(١٣٩)، ولا يوجد مصدر يهودي معروف أقدم من ذلك المصدر(١٤٠).

وفيما يتعلق بقصة عيسى الواردة في القرآن، ترى "دائرة المعارف اليهودية"(١٤١) أن القرآن كان أكثر اعتماداً على الأناجيل غير القانونية، من اعتماده على الأناجيل القانونية. وعلى سبيل المثل، توجد قصة خلق الطير من الطين (آل عمران ٣: ٤٩؛ المائدة ٥: ١١٠) في إنجيل توما ٢: ٢، كما ورد وصف لطعام مريم العجيب (آل عمران ٣: ٣٧)(١٤٢) في سفر يعقوب الإصحاح الثامن، بالإضافة إلى عملية الاقتراع على كفالة مريم ورعايتها نجدها في الإصحاح التاسع من نفس السفر، وهي الواردة في آل عمران (٣: ٤٤)(١٤٣).

علاوة على ذلك، فإن هناك اختلافات كثيرة، خاصة في أسماء الأشخاص الواردة في القرآن، والتي نشأت عن التشويش والخلط والارتباك الذي وقع فيه محمد [ﷺ] نفسه. فعلى سبيل المثل، نجد أن فرعون يبدي رغبته في تشييد برج له حتى يصعد فوقه

---

(١٣٩) هذا على حد تعبير دائرة المعارف، والمقصود هنا، "قصة القرآن الكريم". The Jewish Encyclopedia, P. 559

(١٤٠) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

لم ترد قصة السامري في سورة الواقعة كما أشارت دائرة المعارف، حيث أوردت (الواقعة ٥٦: ٧٣)، وقد وردت هذه القصة في سورة طه، وهو ما أثبتناه في المتن.

(١٤١) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

(١٤٢) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٣٢؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن. [فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ] (آل عمران ٣: ٣٧).

(١٤٣) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٣٩؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن.

للنظر إلى إله موسى (القصص ٢٨ : ٣٨)، وهذه القصة مبنية على أساس رواية نمرود؛ وكذلك، بسبب التشويش والخلط مع مريم (Miriam) ، نجد أن القرآن يعتبر ماري (Mary) أختاً لهارون (مريم ١٩ : ٢٨)[١٤٤]؛ ويرد هامان بصفته خادم فرعون (القصص ٢٨ : ٣٨)، ويصبح آزار أباً لإبراهيم (الأنعام ٦ : ٧٤)[١٤٥]، ويبدو أنها ذكـــــــرى من

---

(١٤٤) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٢٩؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن. [يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا] (مريم ١٩ : ٢٨).

اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها: "يا أخت هارون"، ومن كان هارون هذا الذي ذكره الله، ونسب مريم إليه بصفتها أخته، فقال بعضهم: قيل لها "يَا أُخْتَ هَارُونَ" نسبة إلى الصلاح، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون، وليس بهارون أخي موسى. وقيل: كان رجلا صالحًا في بني إسرائيل يسمى هارون، فشبَّهوها إليه، أي أرادوا القول: يا شبيهة هارون في الصلاح؛ وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر. ويُقال إن جنازته قد شيعت يوم مات أربعون ألفا، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل. وقال بعضهم: إن هارون أخو موسى، ونُسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده، كما يقال للتميميّ: يا أخا تميم، وللمُضَرِيّ: يا أخا مُضَر. — انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٥، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١ (القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ص ٥٢٢- ٥٢٥.

(١٤٥) [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] (الأنعام ٦ : ٧٤). في تفسير هذه الآية يرى البعض أن "آزَر" هُوَ اِسْم أَبِي إبراهيم؛ وقيل إن أبا إبراهيم هُوَ آزَر، وَهُوَ تَارَح، مِثْل إِسْرَائِيل وَيَعْقُوب. وقيلَ إن "آزَر" لَمْ يَكُنْ بِأَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ اسم صَنَم. وَقيل إن اِسْمه تَارَح، وَاسْم الصَّنَم آزَر. وقيل ربما كان "آزَر" اِسْمًا لأبي إِبْرَاهِيم، أَوْ كان نَعْتًا لَهُ. ويرجح الطبري قول من ذهب إلى أن "آزَر" هُوَ اِسْم أَبِي إبراهيم، لأنَّ اللَّه تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ أَبُوهُ. وإذا قيل إنَّ أَهْل الأَنْسَاب يَنْسُبُونَ إِبْرَاهِيم إِلَى تَارَح، فَكَيْف يَكُون آزَرُ اِسْمًا لَهُ، فإن تفسير =

ذكريات الماضي، تتعلق باسم "اليعازر"، وظلت باقية في عقل محمد [ﷺ][١٤٦].

توافق النص القرآني مع الواقع

وترى "دائرة المعارف اليهودية" أنه توجد مفارقات تاريخية في تعاليم محمد [ﷺ][١٤٧]، وأن بعض الأمور قد وُضِعَت في غير زمانها الصحيح. فتقول مثلاً، إن النظام المتعلق بالصلاة والزكاة قد ورد في سياق مرتبط بميثاق الله مع بني إسرائيل (المائدة ٥ : ١٢)[١٤٨]، وإن الله يأمر موسى وهارون أن يوفرا أماكن للصلاة في مصر (يونس ١٠ : ٨٧)، وإن إهلاك امرأة لوط هو أمر قُدَّره الله (الحجر ١٥ : ٦٠)[١٤٩]. وقد صُنِعَت إضافات أخرى تتناسب مع الأوضاع الاجتماعية العربية، ومن أمثلة ذلك، وصف عصا موسى (طه ٢٠ : ١٨)[١٥٠]، وكذلك، السبب الذي عزا إليه اقترابه من الشجيرة المشعلة

= ذلك أن أبا إبراهيم كان يحمل اسمين، كما يحمل كثيراً من الناس في عصرنا هذا اسمين، وذلك كان شائعاً في الماضي، ومن الجائز أن يكون الاسم "آزَر" لقباً له. – انظر: الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج ٩، ص ص ٣٤٢- ٣٤٦.

(١٤٦) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

(١٤٧) The Jewish Encyclopedia, P. 559, تقصد دائرة المعارف بتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم، ما ورد في القرآن الكريم .

(١٤٨) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ١٥ ؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن.

(١٤٩) [إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ] (الحجر ١٥ : ٦٠). انظر: (هود ١١ : ٨١)، وقارن التكوين ١٩ : ٢٦.

(١٥٠) الآية التي قصدها الكاتب هي رقم ١٨، وليس ١٩ على نحو ما ورد. [قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ١٨] (طه ٢٠ : ١٨).

﴿...آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ...﴾ (النمل ٢٧ : ٧)، والصلب على جذوع النخيل كنوع من العقاب (طه ٢٠ : ٧١)[١٥١]، وترك يوسف حارساً على متاع إخوته (يوسف ١٢ : ١٧).

وتقول "دائرة المعارف اليهودية"[١٥٢] إن التبديل أو التعديل الجوهري، الذي كان له تأثير مباشر على العرب وعلى مكة، يوجد في قصة إبراهيم وأبنائه، حيث يصور القرآن الأب التوراتي بصفته مؤسس المَقْدِس (الكعبة) في مكة. ومن الملاحظ عدم ذِكْر إسماعيل معه حتى السور المتأخرة، في حين، يظهر إسحق ويعقوب في السور المبكرة بصفتهما ابني إبراهيم[١٥٣]، وربما حدث ذلك نتيجة لوجود خلط وتشويش في عقلية محمد [ﷺ] الخاصة وذاكرته.

وتلمس "دائرة المعارف اليهودية"[١٥٤] أن الكلمات الموضوعة على لسان المتحدثين في جميع قصص الكتاب المقدس، التي توجد في القرآن، قُصِد بها نقل آراء محمد [ﷺ] واعتقاداته وتبليغها. وتُقنَّع علاقة محمد [ﷺ] بأهل مكة، على نحو هزيل، فقط تحت تحذيرات الأنبياء الأفذاذ الموجهة إلى الشعب الآثم، وفي إجابات هذا الشعب عليهم. ومن الجدير بالملاحظة في هذا

---

(١٥١) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٧٤؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن.

(١٥٢) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

(١٥٣) تشير دائرة المعارف هنا إلى الآيتين الواردتين في سورتي هود والأنعام: (هود ١١ : ٧١)؛ (الأنعام ٦ : ٨٤).

وتفسير: "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ"، أي أن الله سبحانه وتعالى بشَّر سارَة امرأة إبراهيم ثوابًا لها، بإسحاق، ولدًا لها، ومن وراء إسحاق يعقوب، أي ومن خلف إسحاق يعقوب، من ابنها إسحاق. و "الوراء" في كلام العرب يعني: "ولد الولد"، أي أن تبشير سارة كان بابن وابن ابن. — انظر: الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج ١٢، ص ص ٤٧٨ - ٤٨٣.

(١٥٤) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

الصدد، كلمات آدم وحواء (الأعراف ٧: ٢٣)[١٥٥]؛ وكلمات هابيل (المائدة ٥: ٣١)[١٥٦]؛ وكلمات نوح (الأعراف ٧: ٥٩، ٦١؛ هود ١١: ٢٥، ٢٦)[١٥٧]؛ وكلمات غير المؤمنين في زمن نوح (الأعراف ٧: ٦٠؛ هود ١١: ٢٧، ٣٢، ٣٥)[١٥٨]؛ وكلمات يعقوب (يوسف ١٢: ٩٨)[١٥٩]؛ وكلمات يوسف (يوسف ١٢: ٣٣، ٣٧)؛ وكلمات موسى (الأعراف ٧: ١٠٤؛ القصص ٢٨: ١٥)[١٦٠]، وكلمات السحرة المصريين (طه ٢٠: ٧٥)[١٦١]؛

---

(١٥٥) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٢٢؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن. (الأعراف ٧: ٢٢-٢٣).

(١٥٦) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٣٢؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن.

(١٥٧) الآيات المستشهد بها في دائرة المعارف هي (الأعراف ٧: ٥٧، ٥٩؛ هود ١١: ٢٧)؛ والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(١٥٨) الآيات المستشهد بها في دائرة المعارف هي (الأعراف ٧: ٥٨؛ هود ١١: ٣٤، ٤٥، ٤٨)؛ والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(١٥٩) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٩٩؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن.

(١٦٠) آية سورة الأعراف المستشهد بها في دائرة المعارف هي ١٠٣؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن. [وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ] (الأعراف ١٠٤)؛ [وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ] (القصص ١٥).

(١٦١) [وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى] (طه ٢٠: ٧٥). ومما قاله السحرة أيضاً في نفس السورة: [فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ... ... قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ =

وكلمات عيسى (مريم ١٩ : ٣١)[١٦٢].

وتقول "دائرة المعارف اليهودية"[١٦٣] إن هناك أساطير قليلة، بالإضافة إلى قصص الكتاب المقدس، قد وُضِعَت في القرآن، مثل أسطورة الإسكندر الأكبر "ذي القرنين" (الكهف ١٨ : ٨٣ وما يليها)[١٦٤]، التي نُقِلَت عن مصدر سرياني؛ وأسطورة السبعة النائمين [يقصد أصحاب الكهف] (الكهف ١٨ : ٩ ومابعدها)[١٦٥]؛ وأسطورة موسى وعبدٍ من عباد الله (الكهف ١٨ : ٦٥ وما يليها)[١٦٦]؛ وقصة النوم لمدة قرن من الزمان (البقرة ٢ : ٢٥٩)[١٦٧].

وتقول "دائرة المعارف اليهودية"[١٦٨] إن القرآن يحتوي أيضاً على أساطير عربية محلية، بعد إدخال شيء من التعديل الظاهري على شكلها الأدبي، وقد ضُمِنَت في القرآن

= الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ❖ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى] (طه ٢٠ : ٧٠، ٧٢- ٧٣).

(١٦٢) وانظر معها أيضاً الآية ٣٠ التي تسبقها: [قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا] (مريم ١٩ : ٣٠، ٣١).

(١٦٣) The Jewish Encyclopedia, P. 559.

(١٦٤) الآيات المراد الإشارة إليها تبدأ من الآية ٨٣، وليس ٨٢ كما هو وارد في دائرة المعارف. [وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا] (الكهف ١٨ : ٨٣]

(١٦٥) الآيات المراد الإشارة إليها تبدأ من الآية ٩، وليس ٨ كما هو وارد في دائرة المعارف. [أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا] (الكهف ١٨ : ٩).

(١٦٦) الآيات المراد الإشارة إليها تبدأ من الآية ٦٥، وليس ٦٤ كما هو وارد في دائرة المعارف. [فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا] (الكهف ١٨ : ٦٥).

(١٦٧) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ٢٦١؛ ولكنها لا تتفق والسياق، ويبدو أن رقم الآية المقصودة هو ما أثبتناه في المتن.

(١٦٨) The Jewish Encyclopedia, P. 559- 560.

بسبب مغزى القصة الذي تقوم بتبليغه. وتنتمي إلى هذا النوع من القصص، قصة هلاك قوم ثمود، بسبب عصيانهم لنبيهم (الأعراف ٧: ٧٣ وما يليها)؛ وهلاك قوم مَدْيَنَ (الأعراف ٧: ٨٥ وما يليها)، وهلاك قوم عاد (هود ١١: ٥٠ وما يليها)، وهو مصطلح عام لشعب خرافي ينتسب إلى عصر ما قبل التاريخ. وتنتمي إلى هذه القصص أيضاً، قصة كَسْر سد اليمن (سبأ ٣٤: ١٦)[١٦٩]، والكلام الذي وُضِع على لسان لُقْمان (لقمان ٣١: ١٢ وما يليها)، والذي ورد بطريقة مماثلة في قصائد عربية قديمة. ويحتوي القرآن، بالإضافة إلى ذلك، على فقرات كثيرة ذات صفة تشريعية، وذات تاريخ متأخر. و تحتوي هذه الفقرات على نُظُم تتعلق بالحج (البقرة ٢: ١٩٦)[١٧٠]؛ والصوم (البقرة ٢: ١٨٣)[١٧١]؛ والزكاة (البقرة ٢: ٢٦٧ وما يليها؛ التغابن ٦٤: ١٧)[١٧٢]؛ وغنائم الحرب (سورة الأنفال)؛ والزواج (النساء ٤: ٢٣ وما يليها)[١٧٣]؛ وما شابه ذلك.

وتقول "دائرة المعارف اليهودية"[١٧٤] إن "المحمديين" قد تشبثوا بأن تكون لغة القرآن نموذجاً فريداً من الكمال. ومع ذلك، فإن المراقب غير المتحيز يجد فيها كثيراً من الأشياء الغريبة. ومن الجدير بالملاحظة، على وجه الخصوص، حقيقة أن الجملة التي

---

(١٦٩) يُلاحظ أن دائرة المعارف تستشهد على ما حدث لسد اليمن بالآية ١٤ من سورة الأحزاب، وهذا خطأ، والصواب أن هذه الواقعة وردت في سورة سبأ ٣٤: ١٦.

(١٧٠) الصواب: البقرة ١٩٦ وليس ١٨٥ كما أشارت دائرة المعارف.

(١٧١) الآية المستشهد بها في دائرة المعارف هي ١٨١؛ ولكنها لا تتفق والسياق، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(١٧٢) الصواب: البقرة ٢٦٧ وما يليها، وليس ٢٧٣ وما يليها، كما أشارت دائرة المعارف.

(١٧٣) تجدر الإشارة إلى أن هناك آيات قبل الآية ٢٣ تتعلق أيضاً بالزواج وتشريعاته. انظر أيضا (النساء ٤: ٢٠- ٢٢).

(١٧٤) The Jewish Encyclopedia, P. 560.

يُذكر فيها شيء يتعلق بالله، تُلحق أحياناً وفوراً بجملة أخرى يكون فيها الله هو المُتَحَدِّث؛ ونجد الأمثلة على ذلك في سور النحل ١٦ : ٨١؛ والنمل ٢٧ : ٦١؛ ولقمان ٣١ : ٩؛ والزخرف ٤٣ : ١٠؛ (قارن أيضاً النحل ١٦ : ٧٠)(١٧٥). وكثير من الأشياء الغريبة في ترتيب الكلمات في مواضعها، ناشئة عن ضرورات السجع والتقفية (الحاقَّة ٦٩ : ٣١؛ المُدَّثِّر ٧٤ : ٣)(١٧٦)؛ وربما كان استخدام الكثير من الكلمات النادرة والصيغ الجديدة راجعاً إلى نفس السبب (قارن على وجه الخصوص مريم ١٩ : ٨، ٩، ١١، ١٦)(١٧٧).

وتقول "دائرة المعارف اليهودية"(١٧٨) إن اعتماد محمد [ﷺ] على معلميه اليهود أو على ما سمعه من الهَجَّادَاه اليهودية والممارسات اليهودية هو الآن وبشكل عام أمرٌ مُسَلَّم به. لقد بُحِث الموضوع للمرة الأولى من وجهة نظر عامة بواسطة "دافيد ميل" (David Mill) في كتابه المنشور في سنة ١٧١٨م، وبواسطة هـ. ليث (H. Lyth) في كتابه المنشور في سنة ١٨٠٦- ١٨٠٧م. إن عمل "جيجر" (Geiger) المهم للغاية والذي يعتبر نقطة تحول وبداية عهد جديد للفكر، قد وضع الأساس لدراسة القرآن في علاقته بالكتابات اليهودية. وقد حاول "جاستفرويند" (J. Gastfreund)، في عمله سنة ١٨٧٥م و ١٨٧٧م و ١٨٨٠م أن يُظْهِر المتشابهات، أيضاً، في الأدب "المحمدي" [أي: الإسلامي] المتأخر؛ ولو أن ذلك

(١٧٥) تجدر الإشارة إلى أن جميع الشواهد المُشار إليها هنا لا تؤكد ما ذهبت إليه دائرة المعارف، والتي اعتبرته ظاهرة. ويبدو أن هناك خطأ في اختيار الشواهد من القرآن الكريم.

(١٧٦) [ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ] (الحاقَّة ٦٩ : ٣١)؛ [وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ] (المُدَّثِّر ٧٤ : ٣).

(١٧٧) [قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ❖ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ❖..... فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ....❖ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا] (مريم ١٩ : ٨، ٩، ١١، ١٦).

(١٧٨) The Jewish Encyclopedia, P. 560.

لم يحالفه النجاح دائماً، على نحو ما أشار "شبرنجر" (Sprenger) . وقد أعطى "جرينباوم" (Grünbaum) متشابهات أخرى إضافية. وقد لاقى الموضوع معالجة شاملة على أيدي "هارتويج هيرشفيلد" (Hartwig Hirschfeld)، في كتابه المنشور في سنة ١٨٧٨م، وكتابه المنشور في سنة ١٨٨٦م، وبشكل خاص، في كتابه المنشور في لندن سنة ١٨٧٨م.

ماذا تعلم الرسول ﷺ من كتب اليهود

زعم المستشرقون أن محمداً ﷺ قد تلقى علومه القرآنية على يد مُعَلِّم. والواقع أن النبي محمد ﷺ قد نشأ أميّاً وعاش أُميّاً، في أُمَّة أُمِيَّة لم يعرف فيها أحد يحمل وسام العلم والتعليم، وهذا واقع يشهد التاريخ به. أما أن يكون له معلم من غير قومه فإن الباحث لا يستطيع أن يقع في التاريخ على كلمة واحدة تشهد بأنه لقي أحداً من العلماء حدَّثه عن الدين قبل إعلان نبوَّته.

وكثير من النصارى يزعمون أن الذي لقن النبي ﷺ من الكتب القديمة راهب نسطوري اسمه سرجيوس وهو نفسه الراهب "بحيرى" الذي رأى النبي في صغره عندما كان في سياحة قصيرة في سوق بصرى بالشام في صحبة عمه أبي طالب. وهذا الزعم مردود عليه، فلم يكن النبي ﷺ يزيد عن اثنتي عشرة سنة في ذلك الوقت، وكل ما حدث أن جمال وجهه وأدبه وتعففه لدى الدعوة إلى الطعام لفت نظر الراهب فلما خاطبه ورأى ذكاءه بَشَّر عمه بمستقبل عظيم لهذا الصغير(١٧٩).

ويُقال أيضاً إنه ﷺ لقي في مكة ورقة بن نوفل إثر مجيء الوحي، ولقي بعد الهجرة علماء من اليهود والنصارى، لكن المقطوع به أنه لم يتلق عن أحد من هؤلاء شيئاً من الأحاديث قبل نبوَّته، أما بعد النبوَّة، فقد كانوا يسألونه مجادلين فيستفيدون منه

(١٧٩) جمعة، نظرات عصرية في القرآن الكريم، ص ٢٦.

ويأخذون عنه ، ولو كان رسول الله أخذ شيئاً عن واحد منهم لما سكت التاريخ عنه ، لا سيما الذين يقفون للإسلام بالمرصاد ، والكلمات التي ذكرها التاريخ عن راهب الشام أو ورقة بن نوفل كانت بشارة بنبوَّته عليه الصلاة والسلام ، أو اعترافاً بها.

وقيل أن مُعَلمه "حدَّاد رومي" ، لم يُعرف عنه اشتغاله بالعلوم القرآنية ، ولم تعرفه مكة عالماً متفرغاً لدراسة الكتب ، بل عرفته حدَّاداً منهمكاً في حرفته ، أعجمي اللسان لا تعدو قراءته أن تكون رطانة بالنسبة إلى العرب (النحل ١٦ : ١٠٣)(١٨٠).

تقول "دائرة المعارف اليهودية الشاملة" إننا نجد في تعاليم محمد [ﷺ] أن الكون كله وجميع وظائفه هو ثمرة مشيئة الله ، علاوة على ذلك ، نجد أن قوانين الطبيعة تُعَطل مؤقتاً بين الفينة والأخرى ، عندما يصبح ذلك ضرورياً لكي يُعاقب الآثمون ، أو يُنقَذ المؤمنون ؛ وهذا هو أصل عقيدة القضاء والقدر (القِسْمَة) ، ونشوء النزعة الجبرية في الإسلام. إن تصوير محمد [ﷺ] لمنزل الله ومحيطه ، يعتمد على وصفات مدراشية(١٨١) للسماوات والعرش الإلهي ، لكنه يحتوي أيضاً على عناصر روحية(١٨٢).

وتقول "دائرة معارف كنز إسرائيل" إن محمداً [ﷺ] قد شهد بنفسه بأنه لا يعرف القراءة والكتابة(١٨٣). ولذلك كان مضطراً إلى أخذ الشريعة من فم أحد اليهود الذين

---

(١٨٠) القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص ص ٤٤ – ٤٦.

(١٨١) يقصد بها ما ورد من وصف للسماوات والعرش الإلهي في كتب "المدراش" التي تتضمن الأحكام والدراسات والتفسيرات المختلفة التي تفسِّر نصاً أو نصوصاً من العهد القديم. ويتكون التلمود أساساً، وخصوصاً المشنا، من أحكام مدراشية، ولكنه يتميَّز عن الكتب المدراشية الأخرى بأنه عبارة عن مناقشات وشروح تدور حول نصوص الأحكام الشرعية الناتجة من التفسير المدراشي بحيث لا يستند الشرح والتفسير إلى نصوص العهد القديم استناداً تاماً.

(١٨٢) The Universal Jewish Encyclopedia, P. 453.

(١٨٣) انظر الأعراف ٧ : ١٥٧- ١٥٨.

عاشوا في عصره، وهو من بين الذين أخبروه بعدد من القصص المختلفة عن حياة الأنبياء، والقصص التي امتلأت بالمعجزات، والتي تحكي عن أعمال الآباء، وترجع إلى أزمنة موغلة في القِدَم. وتدَّعي دائرة المعارف أن اسم مُعَلِّم الرسول [ﷺ]، هو اليهودي "عبد الله بن سَلاَّم"، وتزعم أنه هو الذي قَدَّم للرسول [ﷺ] أجزاء صغيرة ومختصرة من القرآن، ولم يمنحه تفاصيل كاملة وشاملة، ومن الصعب أن نقرر ما إذا كانت الصرخات الكثيرة القاسية والمتغيرة قد خرجت من فم السيد أم التلميذ. وكذلك لا يوجد نظام واضح لترتيب القصص، فهو يسير بطريقة مرتبة مرات معدودة على نحو قصص: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إسماعيل ونوح، داود وسليمان، أيوب ويوسف، موسى وهارون؛ أو قد ترد قصص هؤلاء، كذلك، في نظام معكوس(١٨٤). وتربط دائرة المعارف هنا بين قصص القرآن الكريم، وما يقابلها من قصص وردت في التوراة.

فتقول "دائرة معارف كنز إسرائيل" عن خلق العالم، إن السماء والأرض انفصلتا عن بعضهما بعد أن كانتا كتلة واحدة، ثم صارت بعد ذلك سبع سماوات. وفي البداية خُلِقَت الجنة، ثم خُلِق بعدها آدم وحواء، وما أن سمع الملائكة بأن الإنسان في طريقه للخلق، وشوا به أمام الرب. وحينما خُلِق الإنسان أوصى الرب ملائكته بالسجود أمامه، فسجدوا، إلا إبليس الذي رفض(١٨٥). وأمر آدم وحواء بألا يأكلا من شجرة المعرفة، لكن الشيطان (إبليس) أغواهما فأكلا منها فطُرِدا من جنة عدن، وأخرج الرب من جنة عدن نسله من بعده وأقسموا بالله (راجع سنهدرين ٣٨، ٧٧: ٧). وقد خطب نوح في أبناء شعبه قائلاً: لا أطلب الأجر منكم، لأن أجري – فقط- على الله رب العالمين. ويوجد هذا التعبير لدى عدد ممن يطلق عليهم أنبياء، مثل: هود، وصالح، ولوط، ويثرو

(١٨٤) אוצר ישראל، עמ" 152.

(١٨٥) الحجر ١٥: ٣٠- ٣١.

(شعيب)، ومصدر هذا في سفر أشعيا (٤٢ : ١٤)[١٨٦]. من هنا ندرك أن محمداً [ﷺ] كرر أيضاً على شعبه أنه لا ينتظر منهم أجراً. وكما أن أبناء قريش وصفوا محمداً بأنه "مجنون وساحر"، حدث نفس الشيء لنوح، حيث دعاه أبناء عصره بأنه "مجنون وساحر". وبعد ذلك نجا نوح في السفينة من ماء الطوفان، وعاش تسعمائة وخمسين عاماً وسط شعبه ثم توفي[١٨٧]. النبي هود (هو עֵבֶר "عَابِر"[١٨٨] حسب رأي جيجر)، وجه كلماته لقبيلته عاد، وكذبه أبناء عصره، حتى غضبت السماء وعَصَفت. وبعد هود جاء صالح (وهو שֶׁלַח "شَالَح"[١٨٩] حسب رأي جيجر) نبياً لشعبه ثمود، وقد أهانه شعبه. ثم كانت ناقته التي شهدت على بعثته، لكن تسعة رجال أشرار قتلوها. وصنيع جيل ما بعد الطوفان الذي يُشار إليهم بـ "رجال الأعمدة" و "بناة الأبراج". وتحدث إبراهيم مع نمرود (الاسم "نمرود" لا يوجد في القرآن) عن عبادته الأوثان، وتحدث كذلك مع أبيه تارح، وبعد ذلك حطَّم التماثيل[١٩٠]. وحينما أتاه الضيوف وأكدوا له أنه بعد سنة سيلد ولداً[١٩١]، رغب في أن يقدم أحد أبنائه قرباناً، ويصلي من أجل ابنه إسماعيل. وجمع إبراهيم كتباً واختاره الله خليلاً له. وفي السور المدنية، بعد أن كشف محمد [ﷺ] عن كراهيته لليهود، ذكر أن

(١٨٦) جدير بالملاحظة أن هذا الشاهد في أشعيا ٤٢ : ١٤ لا يعبر عن نفس المعنى المشار إليه، حيث تقول فقرة أشعيا : "قد صَمَتُّ منذ الدَّهْرِ سَكَتُّ تَجَلَّدْتُ. كالوَالِدَةِ أَصِيحُ. أَنْفُخُ وأَنْخُرُ معاً". قارن ما ورد من معانٍ في سورة الشعراء ٢٦ : ١٢٧، ١٤٥، ١٧٤، ١٨٠ ؛ سورة هود ١١ : ٢٩، ٥١.

(١٨٧) العنكبوت ٢٩ : ١٤- ١٥.

(١٨٨) التكوين ١٠ : ٢٤.

(١٨٩) التكوين ١٠ : ٢٤.

(١٩٠) مريم ١٩ : ٤٢- ٤٨ ؛ الأنبياء ٢١ : ٥٢- ٦٠.

(١٩١) سورة الحِجْر ١٥ : ٥١- ٥٦ ؛ الذاريات ٥١ : ٢٤- ٣٠.

إبراهيم لم يكن يهودياً أو نصرانياً وإنما حنيفاً مسلماً (البقرة ٢ : ١٣٥)[١٩٢]. وقد حذر لوط أبناء عصره أن يتركوا أفعالهم، لكنهم رفضوا، وذهبت أقواله سدى، فاشتكى للرب فدمر مدنهم. وعن حياة يوسف، خصّص محمد [ﷺ] سورة رقم ١٢ ، [وهي سورة يوسف]، وفيها يروي الأحداث البارزة في حياته، ويقول إنها "أحسن القصص" (الآية ٣)[١٩٣]. ومحتوى القصة باختصار: أن يوسف قد رأى في حلمه الشمس والقمر والكواكب تسجد له. كذلك، رأت زوجة سيده جماله، فأحبته حباً جمّاً. وعندما راودته عن نفسه، وقالت: هيت لك، رفض وفرّ من أمامها، فمزَّقت قميصه من الخلف. قال نسوة المدينة إن امرأة العزيز تراود فتاها، فأرسلت إليهن، ودعتهن إلى بيتها، وأعدت لهن متكأ، وأعطت لكل واحدة منهن سكيناً، وقالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقُلْن حاش لله. ونتيجة بغضها له لعدم تجاوبه معها، ألقت به في السجن ...الخ. وحدث أن رأى الملك حلماً، وخرج يوسف لكي يفسر له الحلم. وحينما فسر له الحلم، عيَّنه الملك حاكماً على أرض مصر. وفي خلال سبع سنوات، جمع يوسف كثيراً من ثمار الحقل، وأتى إخوته لشراء القمح، فتحدث معهم بغلظة، وكان من الصعب عليه أن يصدق أنه لم يعرف أسماءهم، أو أنه لم يشأ معرفتها. والحقيقة أنه (أي الرسول ﷺ) عرف كيف يروي قصة يوسف، فكانت أفضل من حيث البناء، فجاءت كاملة، وأفضل من حيث الوحدة والترابط بالمقارنة بقصته الواردة في العهد القديم، وهذا دليل على أن هذه الأحداث قد أثرت فيه تأثيراً شديداً، وظلت باقية في ذاكرته. ويذكر

---

(١٩٢) ورد رقم الآية في دائرة المعارف ١٣٤ ، والصواب هو ١٣٥ على نحو ما أثبتناه في المتن. وانظر: (آل عمران ٣ : ٦٧).

(١٩٣) [نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ] (يوسف ١٢ : ٣).

من حياة أيوب أنه أُبْتُلي بالمرض والآلام، وبعد ذلك وجد دواءه (سورة ص ٣٨، الأنبياء ٢١)[١٩٤]. وشُعَيْب (يثرو) حذر شعبه من التلاعب بالميزان، لكنهم كذَّبوه. وأمر فرعون بقتل أبناء بني إسرائيل، وأنهى قوله بعظة هامان وقورح (الأسماء مشوشة) بقتل موسى، لكن أحد المؤمنين أخبر موسى فاختبأ. وفي مكان آخر يذكر أن موسى ألقى به في النهر بعد مولده، وأن بنات فرعون انتشلوه من الماء، ونال رضاعته من ثدي امرأة حتى أتت أمه، فأرضعته، فهدأت نفسه وشبعت[١٩٥]. وكبر موسى وقتل أحد المصريين، وهرب إلى مديان خوفاً من سيف فرعون[١٩٦]، ويساعد موسى بنات يثرو، ويسقي لهن، ويذهب إلى بيت يثرو ويتزوج إحدى بناته. ثم يرى العليقة تشتعل ناراً ولا تتآكل، ثم رأى علامات في عصاه، وفي يده البيضاء[١٩٧]. ثم يرسله الرب لفرعون، الذي جعل من نفسه إلهاً، وكان هارون مساعده، وقد أظهر الاثنان لفرعون علامات ومعجزات، وكذلك أظهرا معجزاتهما لكهنة مصر. وضُرِب فرعون وشعبه تسع ضربات. أما فرعون فقد لام موسى وذكر له صنيعه معه وهو في بيته، فهو الذي رعاه حتى كبر. ويشق موسى البحر ويُخرِج بني إسرائيل من مصر، وفرعون يطاردهم ويغرق في البحر. أما السامري (وهو اسم مأخوذ خطأ من زمري זמרי) فقد صنع لهم عجلاً مسبوكاً فعبدوه[١٩٨]. أما موسى فقد أحضر الألواح، ويعاقب عابدي العجل، وبعد ذلك اختار سبعين رجلاً يساعدوه في عمله[١٩٩]. ورفع الرب الجبل فوق رؤوسهم وتلقى بنو إسرائيل التوراة (الأعراف ٧:

---

(١٩٤) سورة ص ٣٨: ٤١- ٤٤؛ الأنبياء ٢١: ٨٣- ٨٤.

(١٩٥) سورة القصص ٢٨: ٧- ١٣؛ طه ٢٠: ٣٧- ٤٠.

(١٩٦) سورة القصص ٢٨: ١٤- ٢٢.

(١٩٧) الأعراف ٧: ١٠٦- ١٠٩.

(١٩٨) سورة طه ٢٠: ٨٥- ٨٨.

(١٩٩) الأعراف ٧: ١٥٥.

١٦٦)[٢٠٠]. وضرب موسى الحجر فانفلق وخرجت منه اثنتا عشرة عين ماء، وكذلك أرسل لهم المن والسلوى[٢٠١]. ويروي عدداً من اللقاءات بين موسى والخضر (الياهو؟ - الكهف ١٨ : ٦١- ٨١). كذلك ورد ذكر إلياهو[٢٠٢] واليشع[٢٠٣] في القرآن. أما داود فقد أنشد أناشيد بمساعدة الجبال والطير، وكان يصنع دروعاً. ويشير داود للخطيئة في قصة المتخاصمَيْن اللذَيْن أتيا أمام داود واشتكيا من أن أحدهما سرق نعجة أخيه[٢٠٤]، فقد كان عدد غنم السارق تسعة وتسعين. وحدث أن رجالاً من [بني] إسرائيل صادوا سمكاً في يوم السبت، فلعنهم داود لعناً حاداً، وحوَّلَهُم إلى قِرَدَة[٢٠٥] (قيدوشين

(٢٠٠) الآية ١٦٦ من الأعراف تشير إلى عقاب الله لبني إسرائيل عندما حوَّلهم إلى قِرَدة. أما مشهد لقاء موسى عليه السلام لربِّه على الجبل، نجده في الأعراف ٧: ١٤٣- ١٤٤.

(٢٠١) الأعراف ٧: ١٦٠.

(٢٠٢) أوردت "دائرة معارف كنز إسرائيل" أن "الياهو" واليشع" ذُكِرا في سورة الأنبياء ٢١: ١٢١-١٣٢، ولكنا نلاحظ وجود خطأ في تحديد آيات هذا الشاهد، حيث إن عدد آيات سورة الأنبياء ١١٢ آية فقط. [وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ] (الصافات ٣٧: ١٢٣). و"إن إلياس"، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاس بن العيزار بن هارون بن عمران.

(٢٠٣) [سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ] (الصافات ٣٧: ١٣٠). اختلفت القرّاء في قراءة قوله (سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ) فقرأته عامة قرّاء مكة والبصرة والكوفة: (سَلامُ عَلى إلْياسِينَ) بكسر الألف من إلياسين، فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس، ويقول: إنه كان يُسمى باسمين: إلياس، وإليا سين. وكان بعض أهل العربية يقول: إلياس: اسم من أسماء العبرانية. - - انظر: الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج ١٩، ص ص ٦١٩- ٦٢٢.

(٢٠٤) الأنبياء ٢١: ٧٨، ٧٩، ٨٠.

(٢٠٥) البقرة ٢: ٦٥؛ النساء ٤: ٤٧؛ الأعراف ٧: ١٦٣- ١٦٥. — ومن الملاحظ أن دائرة المعارف هنا تشير إلى أن داود هو الذي لعنهم وحوَّلهم إلى قِرَدَة. ولم يرد في القرآن الكريم أية صلة بين داود وهذه الحادثة. אוצר ישראל، עמ" 153.

קידושין פ"ד). أما سليمان فقد استسلمت له الرياح وكذلك الأمطار، واستخدم النحاس من باطن الأرض، ووجد جماعة النمل، وأخبره الهدهد أن في بلاد سبأ تملك ملكة، وأن هذه الملكة ستأتي لزيارته، وفي شيخوخته سيدفعه عفريت من الجِنِّ فيسقط من فوق كرسي عرشه ويملك بدلاً منه ...الخ[٢٠٦]. أما يونا فقد أنقذه الصياد من أمعاء الحوت، ونبتت شجرة اليقطينة عليه فغطته[٢٠٧]. وأوصى لقمان ابنه قبل موته أن يعبد الله ويستمع لقول آبائه، لكنه لم يستمع له، إذ كتب عليه عبادة الأوثان (انظر: يباموت ٦ יבמות ו'). وجاء الإسكندر (ذو القرنين، دانيال ٧) في حملته حتى أقاصي الأرض، حيث تغرب الشمس. هناك وجد شعوب طلبت منه الدفاع ضد ياجوج وماجوج فبنى لهم حاجزاً وقاذفاً من الحديد، وقضيباً ملتهباً. وعزرا (مشار إليه في سورة البقرة ٢: ٢٥٩)[٢٠٨]، الذي مرّ بقرية مدمرة فقال: هل يحي الله هذه القرية بعد موتها؟ ونام عاماً امتد مائة عام. وقصة حياة يسوع الناصري [المسيح عيسى بن مريم] حيث ورد أن زكريا صلى من أجل أن يُنْجِب طفلاً ووعده الله به، وحينما أنجبه أسماه يوحنان. ورأت مريم الروح أمامها في صورة إنسان كامل فحملت وولدت منه ولداً. وكان عيسى يتحدث في المهد وهو كلمة الله (اللُّوجُوس)، وكان محمد [ﷺ] يكرر في القرآن أن عيسى خلق بأمر الله مثل الإنسان الأول: قال الله له: "كُن" فيكون (آل عمران ٣: ٤٧، ٥٩)[٢٠٩]. ويستاء من

---

(٢٠٦) الأنبياء ٢١: ٨١؛ النمل ٢٧: ١٦- ٢٤؛ ص ٣٨: ٣٦- ٣٨.

(٢٠٧) الصافات ٣٧: ١٤٢- ١٤٦.

(٢٠٨) أشارت دائرة المعارف أن رقم الآية المستشهد بها هو ٢٦١، والصواب ٢٥٩ وهو ما أثبتناه في المتن.

(٢٠٩) استشهدت دائرة المعارف في هذا الموضع بالآية ٣٤ من سورة الأنعام، ولكنا لا نجد أدنى علاقة في هذه الآية بما ورد في السياق. ونجد قول الله تعالى: (كُن فَيَكُونُ) في (آل عمران ٣: ٤٧- ٥٩)، وهو ما أثبتناه في المتن.

النصارى القائلين بأن الإله ولد ابناً (التوبة ٩ : ٣٠)[٢١٠]. "ومن يحكم العالم إذا أمات الله المسيح بن مريم وأمه وكل من بالعالم؟" (الأنعام ٦ : ٢٩). "ما كان لله أن يتخذ ولداً" (مريم ١٩ : ٣٥)[٢١١]. ويُطلِق ذات مرة لقب "أخت هارون" بطريق الخطأ على مريم أم عيسى (مريم ١٩ : ٢٨)[٢١٢]. إن القصص التي تتناول حياة الأنبياء، الواردة في الرؤى المدنية، ليست ذات قيمة كبيرة، ولا تحمل أية فكرة جديدة، ذلك لأنه في المدينة كانت طائفة المؤمنين في ازدياد مستمر، ولم يهتم بأن تكون أقواله مؤثرة على قلوب المستمعين، وكانت كل أعماله موجهة لإصلاح الحياة الدينية والاجتماعية لسكان المدينة ومنحهم تشريعات يعيشون عليها وتغير رؤية عالمهم من البداية للنهاية[٢١٣].

عقائد وأفكار مأخوذة عن اليهود

تشير "دائرة معارف كنز إسرائيل"[٢١٤] إلى بعض المبادئ والاعتقادات التي توجد في الإسلام، وتدَّعي أنها مستعارة من اليهودية. وتقول إن من عقائد الدين الأساسية ما يلي:

---

(٢١٠) استشهدت دائرة المعارف في هذا الموضع بالآية ١٤١ من سورة البقرة، إلا أننا لا نجد فيها أية علاقة بما ورد في السياق، لذا وضعنا (التوبة ٩ : ٣٠) شاهدا على ما ورد في المتن.

(٢١١) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ٣٣ ؛ والصواب ٣٥ على نحو ما أثبتنا في المتن: [مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ] (مريم ١٩ : ٣٥).

(٢١٢) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ٣٦ ؛ والصواب ٢٨ على نحو ما أثبتنا في المتن: [يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا] (مريم ١٩ : ٢٨).

(٢١٣) אוצר ישראל، עמ" 152- 153.

(٢١٤) אוצר ישראל، עמ" 155.

١- الإيمان بالله وبمحمد [ﷺ] نبيه.

٢- أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

٣- أن الله هو خالق البشر، وهو الذي يرزقهم.

٤- أن المؤمنين بالله يجدون الثواب في نعيم الجنة، أما الأشرار فيُعاقبون في نار جهَنَّم.

٥- أن يكون كل مؤمن بالله حذراً في مسالِكه، وأن يحفظ وصايا الله، وأن يصلي خمس مرات في اليوم: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء. هذا مع كل أشكال الخضوع والانتشار على وجه الأرض.

وتقول"دائرة معارف كنز إسرائيل" إن القرآن يشير إلى أن رغبات الإنسان وإرادته ليست حرة، ذلك أن الله يقتص من الشرير فيفسد عليه مسلكه. وقد اجتهد محمد [ﷺ] في القضاء على عادات قديمة، بالغة القسوة، كانت تُمارس وسط شعبه، مثل قطع أذن الحيوانات، ووأد البنات بعد ولادتهن، وقتل الأولاد خشية الإملاق (الإسراء: ١٧: ٣١)(٢١٥). كما أنها تقول إن الآيات المستمدة من أسفار العهد القديم أو كتب الربانيين(٢١٦)

(٢١٥) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ١٣؛ والصواب ٣١ على نحو ما أثبتنا في المتن: [وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا] (الإسراء ١٧: ٣١).

(٢١٦) الربانيون هم الذين يؤمنون بأسفار العهد القديم والتوراة الشفوية (المشنا) والتلمود، ويُعرفون بالتلموديين، وتُنسب إليهم الكتابات المتأخرة ومنها "المدراشيم". وهم يشكلون الفرقة الأكبر بين اليهود، وقد دخلت فرقتهم مع فرقة القرائين في خلاف عميق وجدل ديني حول مدى علاقة موسى عليه السلام بالتوراة الشفوية (المشنا)، ومدى شرعية إلزام اليهود كافة بالتفسيرات التي وضعها الربانيون على المشنا، فيما عُرِف فيما بعد بالتلمود. انظر: محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين في ضوء أوراق الجنيزا - قراءة في مخطوطة بودليان بأكسفورد [MS. Heb. F. 18 (Fols. 1-33a)]، (القاهرة: دار الزهراء للنشر، ١٤١٤هج- ١٩٩٤م)، ص ص ٢ – ٣، ٣٣.

يمكن معرفتها بسهولة من النظرة الأولى، ومنها: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء ١٧ : ٤)[٢١٧] ، وهي تقابل فقرة العهد القديم: " يحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (هوشع ٦ : ٢)[٢١٨] ؛ والآية ﴿... ... أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء ٢١ : ١٠٥)[٢١٩]، وهي تقابل فقرة العهد القديم: "أما الودعاء فيرثون الأرض..." (المزامير ٣٧ : ١١)[٢٢٠] ؛ وكذلك الآية: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ... ..﴾ (الأنبياء ٢١ : ١٠٤)، وتقابل فقرة العهد القديم: "... وتلتف السموات كدرج..." (أشعيا ٣٤ : ٤)[٢٢١].

وتنتقد "دائرة معارف كنز إسرائيل" ورود كلمات غير عربية في القرآن الكريم، وضربت أمثلة على ذلك فأتت بكلمة **קשישין** "قسيسين" و **שכינה** "سكينة"[٢٢٢]. والواقع أن العربية اضطرت إلى إدخال ألفاظ أجنبية من لغات الأمم الأخرى – مثلها في ذلك مثل غيرها من اللغات- ولم يكن ما أدخلته من هذه الألفاظ الأجنبية قليلاً، حيث عرَّبت منه الكثير قبل الإسلام؛ وشاهد ذلك ما نصادفه في لغة الشعر الجاهلي وفي سور القرآن الكريم، وفي بعض الأحاديث النبوية الشريفة؛ ثم عرّبت منه الكثير بعد الإسلام[٢٢٣]. وجدير بالملاحظة أنه قد ورد في القرآن الكريم كثير من معرّبات الجاهلية،

---

(٢١٧) وردت الإشارة إلى الشاهد (الإسراء ١٧ : ١٤)، وفيه خطأ، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(٢١٨) وردت الإشارة إلى الشاهد (هوشع ٣ : ٢)، وفيه خطأ، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(٢١٩) وردت الإشارة إلى الشاهد (الأنبياء ٢١ : ١٠٤)، وفيه خطأ، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(٢٢٠) وردت الإشارة إلى الشاهد (المزامير ١٠٧ : ٢٩)، وفيه خطأ، والصواب هو ما أثبتناه في المتن.

(٢٢١) אוצר ישראל، עמ" 155.

(٢٢٢) שם، עמ" 155.

(٢٢٣) صبحي الصالح، *دراسات في فقه اللغة*، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٠م)، ص ٣١٦.

وهذا دليل على أن العربية قد تقبلته وعربته قبل البعثة بزمن كاف حتى استوعبتها وصاغتها على هذه الأوزان الشائعة في كلماتها(٢٢٤). وبعض هذه الكلمات آرامي وبعضها فارسي وبعضها يوناني، وبعضها حبشي، وغير ذلك. ونقول أولاً إن كل دين جديد وكل تغير في النظم يحتم إيجاد ألفاظ جديدة كما يحتم تبديل المعاني القديمة كما حدث في ألفاظ "إسلام" و "إيمان" و "كفر" ..الخ. فهذه ضرورة من ضرورات التطور الجديد، وثانياً فإن الألفاظ الأجنبية الموجودة في القرآن الكريم، كان كثير منها معروفاً عند العرب في مختلف القبائل بحكم اختلاطهم بالشعوب الأخرى المجاورة(٢٢٥).

تقول "دائرة معارف كنز إسرائيل"(٢٢٦) إن محمد [ﷺ] قد ذكر كلمات خاصة مثل: **שכינה** "شخيناه" [بمعنى: سَّكينة(٢٢٧)] و **קשישין** "قسيسين"(٢٢٨) [بمعنى: مُسِن، شيخ، عجوز]، و **שבת יום המנוחה** السبت(٢٢٩) [السبت يوم الراحة] ... وغيرها. وكان هدفه من ذلك إظهار معرفته العميقة بالتوراة، والتأثير بذلك على قلوب اليهود. لكنهم لم يتورعوا عن استفزازه ومشاكسته بأسئلة مختلفة للتأكيد على مكانتهم. لكنه في الوقت ذاته لم يتورع هو أيضاً عن قذفهم ووصفهم بأوصاف حادة في كل رؤية من أجل التأثير على نفوسهم في عين أتباعه ومريديه. فقد قال أن اليهود يبجلون عزرا ويعتبرونه المسيح، وأنهم يؤكدون أن عزرا هو ابن الله، والنصارى يؤكدون على أن المسيح هو ابن

---

(٢٢٤) محمد عيد، *المظاهر الطارئة على الفصحى*، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٠م)، ص ١٠٦.

(٢٢٥) جمعة، *نظرات عصرية في القرآن الكريم*، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ص ص ٣٨ – ٣٩.

(٢٢٦) אוצר ישראל، עמ" 155.

(٢٢٧) وردت في سورة البقرة ٢: ٢٤٨.

(٢٢٨) وردت في سورة المائدة ٥: ٨٢.

(٢٢٩) وردت في سورة البقرة ٢: ٦٥؛ النساء ٤: ٤٧، ١٥٤؛ الأعراف ٧: ١٦٣؛ النحل ١٦: ١٢٤.

الله. كما أنه صادق على العهد الذي قطعه موسى مع بني إسرائيل، وعلى العهد الذي قطعه يسوع (عيسى) مع النصارى. ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (الصف ٦١ : ٦)[٢٣٠]. وهذا ما يشير إلى أن اسمه قد ورد في التوراة والإنجيل، كما ورد في القرآن صراحة: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف ٧ : ١٥٧)[٢٣١]. وفي موضع آخر يُطلق على اليهود والنصارى اسم "الفاسقون"، لأنهم أبناء أوغاد، ظالمون. وعلى قولهم أنهم أبناء إبراهيم، قال: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ (آل عمران ٣ : ٦٥)[٢٣٢]. ويؤكد اليهود أن النصارى ليسوا على حق، والنصارى يؤكدون أن اليهود ليسوا على حق، وكلاهما يتلون أسفارهم (البقرة ٢ : ١١٣)[٢٣٣]. ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ

(٢٣٠) تبدأ دائرة المعارف هذه الآية بجملة "وإذ قال ابن عمرام עמרם"، بدلاً من "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ" الواردة في القرآن الكريم.

(٢٣١) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ١٤٦؛ والصواب ١٥٧ على نحو ما أثبتنا في المتن.

(٢٣٢) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ٨٣؛ والصواب ٦٥ على نحو ما أثبتنا في المتن.

(٢٣٣) ورد في دائرة المعارف أن الشاهد هو (النساء ٤ : ٦)، وفي ذلك خطأ، والصواب الذي يوافق السياق هو ما أثبتناه في المتن.

ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران ٣ : ٧٨)[٢٣٤]. وبهذه الكلمات يشيرون إلى اليهود الذين يقولون: סַם עָלֶיךָא (سَم عليك)، بدلاً من סלאם עליקא "سلام عليك" (שלום עליכם: السلام عليكم). وفي موضع آخر يكذبهم ؛ لأنهم غيروا وحرفوا الكتاب[٢٣٥]. ويقولون "سمعنا وعصينا"، أو و"سمع ورأينا". حيث سمع أن اليهود قالوا "تعالوا نسمع"، وظن أنها الكلمة العربية "نعصى" = أي: نتمرد، أي "سمعنا وعصينا"[٢٣٦]. ولم يكن إبراهيم وحده الذي أوصى أبناءه قبل وفاته أن يؤمنوا بالإسلام، بل فعل يعقوب أيضاً نفس الشيء مع أبنائه قبل

---

(٢٣٤) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ٧٤ ؛ والصواب ٧٨ على نحو ما أثبتنا في المتن.

(٢٣٥) انظر الآيات التي نزلت في تحريف اليهود للتوراة: قال تعالى: " أ فَتَطْمَعونَ أن يُؤْمِنوا لكُم وقد كان فريقٌ منهُمْ يَسْمَعونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفونَهُ من بعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (البقرة ٢ : ٧٥)، وقال تعالى: "مِنَ الذين هادوا يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضِعِهِ ..." (النساء ٤ : ٤٦). وقال تعالى: " فبِمَا نَقْضِهِم مِيثاقَهُم لَعَنَّاهُم وجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قاسِيَةً يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضِعِهِ ..." (المائدة ٥ : ١٣)، "... ومن الذين هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفونَ الكَلِمَ من بَعْدِ مواضِعِهِ ..." (المائدة ٥ : ٤١).

(٢٣٦) ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ.....﴾ (النساء ٤ : ٤٦). في تفسير الطبري لهذه الآية ، أن من الذين هادوا، قوم كانوا يحرفون ويغيرون كلام الله الذي أنزله لهم في التوراة. وكان منهم من يقول للنبي صلى الله عليه وسلم، إذا أمرهم بشيء: سمعنا، يا محمد، قولك، وعصينا أمرك. وفي قوله: " سمعنا وعصينا "، قالوا: قد سمعنا، ولكن لا نطيعك. وكانوا يقولون للنبي : "راعنا"، وهي كلمة سب بلغتهم "ليًا" وتحريفا "بألسنتهم وطعنا" وقدحاً في الإسلام، فقد كانوا يلوون ألسنتهم عن الحق ويميلونها إلى ما في قلوبهم. و"لو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا"، بدل وعصينا، و"اسمع" فقط و"انظرنا"، أي: انظر إلينا، بدل راعنا، لكان خيرا لهم.

موته[٢٣٧]. وينذر اليهود للرب جزءاً من غلال أو نتاج الأرض أو قطعانهم، ويقولون إنه لله. وهو يفتتح كتابه بالسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" (وبهذه الكلمات تبدأ كل سورة): ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (الفلق ١١٣ : ١-٥). سورة الناس: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ (الناس ١١٤ : ١- ٦)[٢٣٨].

إصلاحات محمد [ﷺ] في الدين

احتوى القرآن الكريم على مسائل كثيرة تتصل بحياة الفرد والأسرة والمجتمع، فنجد فيه من قواعد التشريع كالمواريث والوصية وأنواع العبادات، وقواعد السلم والحروب، وواجب الإنسان نحو الخالق، وواجبه نحو نفسه ونحو الغير، والوصايا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأطعمة المحرمة، والأطعمة الطاهرة، وتحريم الخمر والربا والميسر، وشرائع الأحوال الشخصية، شرائع الزواج والطلاق وحسن العشرة بين الأزواج، وشرائع المعاملات، والحث على الصدقات وصلة ذي القربى، والعدل، والحث على حسن معاملة اليتيم، وتثبيت الإنسان عند المصائب. وعلى المرء أن يتأمل

(٢٣٧) (البقرة ٢ : ١٣٢، ١٣٣).

(٢٣٨) אוצר ישראל، עמ" 155- 156.

الظروف الطبيعية والاجتماعية والجنسية التي نزل فيها القرآن الكريم على عرب الجزيرة، وكيف جاء في ذلك الوقت بدستور شامل.

وتشير "دائرة معارف كنز إسرائيل" إلى الإصلاحات التي قدمها محمد [ﷺ] في ثلاث وعشرين سورة مدنية، وهي على النحو التالي(٢٣٩):

١- الأطعمة المحرمة: من المحرمات أكل لحم الجيفة، والدم، ولحم الخنزير، وما لم يُذكر اسم الله عليه، لكن المضطر إلى أكل هذه الأطعمة، غير باغ ولا عاد، فلا إثم عليه(٢٤٠). ومن المسموح أكل كل أطعمة اليهود(٢٤١)، فكل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة، إلا ما حرم إسرائيل (أي: يعقوب) على نفسه(٢٤٢)، والمقصود هنا، تحريم عرق النَّسَا(٢٤٣).

٢- وَلِيّ الدم: كان القانون القديم السائد بين عرب ما قبل الإسلام يقضي بقتل الحُرّ بالحُرّ، والعبد بالعبد، والامرأة بالامرأة، وكذلك الأمر في الإسلام، إلا أنه أضاف أخذ فدية مالية كفّارة إذا صَفَح أقارب القتيل عن القاتل، وإذا رضوا واكتفوا بذلك.

---

(٢٣٩) אוצר ישראל، עמ" 153 - 155.

(٢٤٠) البقرة ٢: ١٧٣؛ الأنعام ٦: ١٤٥؛ النحل ١٦: ١١٥.

(٢٤١) قارن [وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ ❖ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] (الأنعام ٦: ١٤٦ - ١٤٧)

(٢٤٢) آل عمران ٣: ٩٣.

(٢٤٣) אוצר ישראל، עמ" 153. [لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النّسا الذي على حقّ الفخذ إلى هذا اليوم؛ لأنه ضرب حقّ فخذ يعقوب على عرق النّسا] (التكوين ٣٢: ٣٣ [٣٢: ٣٢ في الترجمة العربية]).

ويسود هذا القانون أيضاً في أعضاء محددة، هي: النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والسن بالسن، والأُذُن بالأُذُن (انظر سفر الخروج ٢١ : ٢٣)[٢٤٤]. وفي الإسلام، يؤمن القاتل بأنه سوف ينال عقابه في الآخرة، أما في الدنيا، فعليه أن يحرِّر عبداً بدفع فدية كفارة لأقارب القتيل، وإذا كان فقيراً فيصوم شهرين كاملين (النساء ٤ : ٩٢-٩٣)[٢٤٥]. وعلى أية حال، لم يكن وَلِيّ الدم قاسياً في حُكْمِه (الأعراف ٧ : ١٣٥)[٢٤٦].

٣- شرائع الأحوال الشخصية: مسموح بالزواج من امرأة واحدة، واثنتين، وثلاث، وأربع نساء، وذلك إذا كان الزوج قادراً من الناحية المادية، كأن يكون من ذوي الأملاك أو الأموال، وإلا فعليه الاقتصار على ما ملكت يداه من الإماء[٢٤٧]. ويجب على الزوج إعطاء زوجته مهراً إذا طلبت منه ذلك. ومحظور الزواج من امرأة مُشرِكَة، كما أنه من المحظور على المسلم أن يُزَوِّج ابنته لرجل مُشْرِك، إلا إذا آمن واعتنق الإسلام[٢٤٨]. ومن المسموح الزواج بعبد أو أمة. ومن المحظور الزواج بأرملة الأب (زوجة الأب بعد وفاته)، والأم التي ولدته، والعمة أو الخالة، وبنات الأخ أو الأخت، والأمهات

(٢٤٤) [وإن حصلت أذيّة تعطي نفسا بنفس ❖ وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل ❖ وكيّا بكي وجرحا بجرح ورضّا برضّ. ❖ وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حرا عوضا عن عينه. ❖ وإن أسقط سن عبده أو سنّ أمته يطلقه حرا عوضا عن سنّه] (الخروج ٢١ : ٢٣ – ٢٧).

(٢٤٥) أشارت "دائرة معارف كنز إسرائيل" إلى الشاهد: (النساء ٤ : ٩٤- ٩٥)، وهذا خطأ، ويبدو أن الآيتين المقصودتين هما ٩٢، ٩٣ وهو ما أثبتناه في المتن. (النساء ٤ : ٩٢- ٩٣).

(٢٤٦) אוצר ישראל، עמ" 153.

(٢٤٧) النساء ٤ : ٣.

(٢٤٨) البقرة ٢ : ٢٢١.

بالرضاعة، والأخوات في الرضاعة، والإخوة في الرضاعة(٢٤٩). وقد كان سائداً وسط العرب أن المرأة التي تُرْضِع طفلاً أجنبياً مرة واحدة، يصبح ابناً لها بالرضاعة، ومن ثم، يكون أخاً في الرضاعة لكل أبناء الأسرة. وحُرِّم أيضاً الزواج من أمهات نسائكم (حمواتكم)، والكَنَّات (زوجات الأبناء)، وزوجات إخوة الزوجة، والنساء المتزوجات (النور ٢٤ : ٣١- ٣٢)(٢٥٠). ويكفي الفقراء الزواج من أمَة، ويتم ذلك بإذن أسيادها، وإذا زنت الأمَة فيكون عقابها نصف عقاب المرأة الحرة(٢٥١). ويجب على النساء الإصغاء لقول أزواجهن والاهتمام بهم؛ أما المرأة التي تتمرد على زوجها، فعليه أن يعظها ثم يهجرها ثم يضربها (النساء ٤ : ٣٤)(٢٥٢). وإذا لم يحقق ما سبق أية نتيجة، يكون على أبناء أسرة الزوج وأسرة الزوجة التدخل للإصلاح بينهما. كذلك أمر الله الزوج ألا يقترب من زوجته في فترة حيضها(٢٥٣). والمرأة كالحقل المزروع، ومن ثم، يكون من المسموح للزوج زيارته وقتما شاء. فالزوجة هي لباس لزوجها، والزوج هو لباس لزوجته (البقرة ٢ : ١٨٧)(٢٥٤).

---

(٢٤٩) البقرة ٢ : ٢٢- ٢٣.

(٢٥٠) ورد في دائرة المعارف الشاهد (النور ٢٤ : ٢٤- ٢٨) ويبدو أنه خطأ، والآيات الأقرب إلى السياق هي ٣١- ٣٢. انظر أيضاً: النساء ٤ : ٢٢- ٢٣.

(٢٥١) (النساء ٤ : ٢٥).

(٢٥٢) الآيات التي أوردتها دائرة المعارف من سورة النور(النور ٢٤ : ٣٠- ٣٨) لا تناسب السياق، والصواب هو ما أوردناه في المتن.

(٢٥٣) البقرة ٢ : ٢٢٢.

(٢٥٤) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ١٨٣؛ والصواب ١٨٧ على نحو ما أثبتنا في المتن. **אוצר ישראל**، עמ" p.p 154-153

[أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ...] (البقرة ٢ : ١٨٧).

٤- شرائع الزنا: حَرَّم القرآن الزنا تحريماً تاماً[٢٥٥]، ومن ثم، إذا ارتكب رجل أو امرأة جريمة الزنا، فإن كُلاً منهما يُجْلَد مائة جلدة أمام شهود، ويمكنهما الزواج، ولكن بمثلهما، فالزَّانِي لا يَنكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ[٢٥٦]. ومن يشهد على امرأة بأنها ارتكبت الزنا، ولم يكن لديه أربعة شهود رأوا الزنا، فإن هذا الرجل يُجْلَد ثمانون جلدة وتُعتبَر شهادته باطلة. وإذا أتى المتهم بأربعة شهود، شهدوا بأنها امرأة زانية، تُسجَن حتى يوم موتها، أو حتى ينصلح حالها. الرجال الذين يُخطئون يجب معاقبتهم. من يقدم هدايا إلى زوجته، يمكنه استردادها، فقط، إذا ارتكبت الزنا وثُبت ذلك عليها، وكذا إذا بَدَّل امرأته بزوجة أخرى.

٥- شرائع الاحتشام والعِفَّة: على النساء المؤمنات النظر إلى الأسفل للحفاظ على حيائهن. وإخفاء مواضع الفتنة، عدا الأطراف، ويجب تغطية الصدر بالحجاب، وإماطة هذا الغطاء لأزواجهن فقط، وآبائهن وآباء بعولتهن وأبنائهن، وأبناء أزواجهن، وإخوانهن، وأبناء أخواتهن وأبناء أخواتهن أو نسائهم وإمائهم، وذلك لعدم إثارة الفتنة[٢٥٧]. كما أنه من المحظور عليهن أن يوسِّعن في خطواتهن، للحفاظ على حيائهن حتى لا يُعرَفن فيُؤذين. ومسموح أن يتزوج بزوجات الأبناء بالتبني إذا رضي أزواجهن بذلك (وهو ما يتفق مع ما فعله محمد [ﷺ]، إذ أنه تزوج من زوجة ابنه بالتبني، وهو ما أثار لغط). ومسموح للنبي أن يتزوج بنات عمه وعمته وخاله وخالته، والمرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها للنبي إن أراد أن يستنكحها (الأحزاب ٣٣: ٥٠)[٢٥٨]. وبهذا التشريع سمح

---

(٢٥٥) [وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً] (الإسراء ١٧: ٣٢).

(٢٥٦) النور ٢٤: ٢- ٣.

(٢٥٧) النور ٢٤: ٣٠- ٣١، وانظر أيضاً: الأحزاب ٣٣: ٥٥.

(٢٥٨) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية هو ٣٧؛ والصواب ٥٠ على نحو ما أثبتنا في المتن.

محمد [ﷺ] لنفسه بأشياء حرَّمها على الآخرين، بقوله أن الله استثناه وفضَّله، فقد أوصى بأنه محظور على المؤمنين الزواج بزوجات النبي بعد موته، أو الذهاب إلى بيته دون إذن. ومن يطلب أمراً من نساء النبي، عليه أن يطلبه من وراء حجاب (الأحزاب ٣٣: ٤٩- ٥٣).

٦- شرائع الطلاق: يجب على كل إنسان احترام اليمين الذي يقسم به. إذا طُلِّقَت المرأة، عليها أن تنتظر ثلاثة أشهر لتعرف إذا كانت حُبلى أم لا، وبعد ذلك يمكنها الزواج لرجل آخر(انظر: ياموت יבמות פ"ד). في الواقع يكون حسناً إذا سامح الزوج زوجته وأرجعها إليه ثانية. والذي يُطلّق زوجته ثم يُرجِعها ثانية، لا يستطيع أن يردها مرة ثالثة إلا بعد أن تتزوج رجلاً آخر (البقرة ٢: ٢٢٧- ٢٣٠)[٢٥٩]. ويجب أن يكون الطلاق للمرة الثانية بالحُسنى، ولا يكون بالعنف. ويجب على المرأة أن تُرضِع ابنها لمدة حولين كاملين (انظر كتوبوت ٦٠ כתובות ס'). يحق للأرملة أن تتزوج رجلاً آخر بعد أن تكتمل فترة أربعة أشهر وعشرة أيام من موت زوجها[٢٦٠]، ولكن يمكنها فقط أن تُخْطَب قبل إتمام هذه المدة. أما المعلقة بالترمل فإنها تجد نفقتها في بيت زوجها المتوفى، لمدة سنة كاملة، إذا طلبت ذلك. من يقول لزوجته "إن منزلتكِ عندي كمنزلة أمي"، يجب عليه تحرير عبده أو صيام شهريْن أو إطعام ستين مسكيناً، قبل أن يعاملها معاملة الأزواج. وعلى المطلقات أن تنتظرن ثلاثة أشهر لتعرفن إذا ما كُنّ حاملات، وعلى أزواجهن الوفاء بكل احتياجاتهن حتى تلدن، ويدفع لهن الزوج أيضاً أجورهن إذا كُنّ يرضعن أولادهن.

---

(٢٥٩) تشير دائرة المعارف في هذا الموضع على أن الآيات المشار إليها في سورة البقرة، هي عكس ما ورد في سفر التثنية ٢٧: ١. ولا نلاحظ وجود أية علاقة في المعنى بين الشاهدين.

(٢٦٠) البقرة ٢: ٢٢٩- ٢٣٤.

٧- شرائع الميراث: تعتبر شرائع الميراث من الشرائع الغامضة في القرآن ولا يكتنفها نظام، وذلك لأن محمداً [ﷺ] الذي قرر الأمر بناءً على رؤية إلهية عندما كانت تأتيه الأسئلة، فلم يقو على التشريع، ولم يستطع وضع تشريعات بشكل يتناسب مع متطلبات الحياة. فقد قال: إن المتوفى دون أولاد، وله أخت، فإنها ترث نصف الميراث، ويرث والداه المتبقي؛ وإذا ترك أختين، ترثان الثُلْثَيْن ويرث آباؤه الباقي. وإذا ترك إخوة وأخوات، يأخذ الذكر منهم ضعف الأنثى، الابن المتوفى ترث أمه الثلث ويرث الأب الباقي. وإذا كان له إخوة ترث الأم السُدْس بعد سداد أية ديون أو وصية. السيدة المتوفاة دون أولاد، يرث زوجها نصف ممتلكاتها، وإذا كان لها ولد يرث الرجل الربع بعد الوفاء بأية ديون أو وصية. إذا توفى رجل دون أن يترك أولاداً، فإن زوجته ترث الربع من ممتلكاته، وإذا كان له ولد يأخذ الثُمْن بعد الوفاء بأية التزامات أو وصية أو ديون. وإذا أوصى رجل بميراثه لأقربائه البعيدين متخطياً إخوته وأخواته، فإنه يحقّ لإخوته ولأخواته أن يأخذوا السدس كالتزام أو دين(٢٦١). ومن يستولي على أموال الغرباء الأجانب، مثله مثل من يأكل في بطنه ناراً ملتهبة (النساء ٤ : ١٠)(٢٦٢).

٨- شرائع الوصية: منْ أراد أن يكتب وصية، وجب عليه أن يأخذ له شاهدين اثنين (المائدة ٥ : ١٠٦)(٢٦٣).

---

(٢٦١) انظر شرائع الميراث في: (النساء ٤ : ٧- ١٢).

(٢٦٢) أوردت دائرة المعارف رقم الآية ١١، ويبدو أنها قصدت الآية ١٠، وقد أثبتناها في المتن. قارن الآية الكريمة رقم ١٠، التي تشير إلى أموال اليتامى، في حين تشير دائرة المعارف إلى أموال الغرباء أو الأجانب.

(٢٦٣) ورد في دائرة المعارف أن رقم الآية ١٠٥، وصوابها ١٠٦ وهو ما أثبتناه بالمتن: [يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ... ...]. - - אוצר ישראל، עמ" 154.

٩- شرائع الصيام: الصيام هو أمر إلهي منذ القدم، فريضة واجبة تؤدَّى في أيام محددة ومعلومة، وعلى المريض أو عابر السبيل[٢٦٤] أن يصوم في وقت آخر. ومن يفطر دون عذر، وجب عليه إطعام فقير كفارة لنفسه. والصيام فريضة للخشوع في شهر رمضان، الذي أُنْزِل فيه القرآن، ويبدأ الصوم عند رؤية هلال الشهر. ومن المحظور مضاجعة الزوجة في يوم الصوم. ومن المسموح تناول الطعام طوال الليل حتى الفجر، حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

١٠- شرائع الأضاحي: تُفضَل الإبل عند تقديم أضحية لله، وفي البداية، تُوثَّق الرِجْل اليُسْرى وتُنْحَر الأضحية وهي قائمة على ثلاث قوائم[٢٦٥].

١١- شرائع الحج: الحج إلى مكة هو فريضة إلهية. وهناك حج صغير وحج كبير[٢٦٦]، وعلى المسلم أن يؤديه مرة واحدة طوال حياته، مع كل الشعائر والطقوس

---

(٢٦٤) ورد في دائرة المعارف עובר דרך أي: "عابر السبيل"، وهذا خطأ، والصواب "من كان على سفر" أو "المسافر"، لقوله تعالى: [فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ] (البقرة ٢: ١٨٥).

(٢٦٥) إذا كانت الأضحية من الإبل فتنحر قائمة معقولة يدها اليسرى لقول عز وجل: "فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ" (الحج ٢٢: ٣٦). قال ابن عباس - رضي الله عنهما- "قياما على ثلاث قوائم معقولة يدها اليسرى". . قال تعالى: [وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (الحج٢٢: ٣٦).

(٢٦٦) ورد ذِكْر "الحج الأكبر" في قوله تعالى: [وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ... ...] (التوبة ٩: ٣). وفي تفسير الطبري لهذه الآية اختلف أهل العلم في قوله تعالى: (يوم الحج الأكبر)، فقال بعضهم: هو يوم عرفة. وقال آخرون: هو يوم النحر، وقيل: هو اليوم الذي يُرَاق فيه الدم، ويُحلق فيه الشعر. وقيل: الحج الأكبر، يوم تُهَرَاق فيه الدماء، ويحلق فيه الشعر، ويَحِلّ فيه الحرام. وقيل: هو يوم الأضحى، ويوم النحر. وقيل: =

الدينية الأخرى. يكتفي المريض والمتعسر بقربان صغير، وحين وصول القربان للمذبح يحلق شعر رأسه بالمقص، وإذا كان ذلك يُسَبِّب له أذى في رأسه، يُحضِر قرباناً فدية أو منحة تكفير، أو يصوم من يوم إلى ثلاثة أيام وقت الحج، أو عشرة أيام بعد الحج كفارة(٢٦٧). وخلال ثلاثة أشهر العيد، ممنوع مضاجعة الزوجة، ويحظر عمل السوء لأي شخص، ومسموح فقط بالدخول في مفاوضات(٢٦٨). كما يُحظر أيضاً قتل الحيوان، وإذا

= هو يوم العشر من ذي الحجة يوم النحرُ، وهو يوم الحج الأكبر. وقيل: يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، والحج الأصغر هو العمرة. وقيل: يوم الحج الأكبر، حين الحجّ، أي: أيامه كلها. واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم: " يوم الحج الأكبر ". فقال بعضهم: سمي بذلك، لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حجّ المسلمين والمشركين. وقيل: حج أبو بكر الحجة التي حجها، واجتمع فيها المسلمون والمشركون، فلذلك سمي " الحج الأكبر "، ووافق أيضًا عيدَ اليهود والنصارى. وقيل: يوم الحج الأكبر، كانت حجة الوداع، اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود، ولم يجتمع قبله ولا بعده. وقال آخرون: "الحج الأكبر" هو القِرآنُ، و "الحج الأصغر" هو إفراد الحج. وقال آخرون: "الحج الأكبر" هو الحج، أما "الحج الأصغر" فهو العمرة. وقيل: "الحج الأصغر" هو العمرة في رمضان. قال: " يوم الحج الأكبر "، يوم النحر، و " الحج الأصغر "، العمرة. وقيل إن أهل الجاهلية كانوا يسمون "الحج الأصغر"، العمرة. وقيل: "الحج الأكبر، الحج"، لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها، فقيل له: "الأكبر" لذلك، وأما "الأصغر" فالعمرة، لأن عملها أقل من عمل الحج، فلذلك قيل لها: "الأصغر"، لنقصان عملها عن عمله.

(٢٦٧) (البقرة ٢: ١٩٦). - - انظر: الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج ١١، ص ص ٣٢١- ٣٢٨.

(٢٦٨) [الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ... ...] (البقرة ٢: ١٩٧).

قُتِل دون قصد، يقدم قاتِله أضحية للكعبة، ويحدد ثمن القربان اثنان من الرجال الموثوق فيهما، بحيث يكون الثمن مساوياً لثمن الحيوان المقتول[٢٦٩].

١٢- شرائع الصدقة: هي شرائع لدعم الفقراء والأسرى وذوي الحاجة وعابري السبيل ...الخ. إن من ينفق أمواله على الفقراء ينال ثواباً مضاعفاً مائة مرة (البقرة ٢: ٢٦١)[٢٧٠]. ويحذر القرآن من إبطال الصدقة بالمَنِّ والأذى. وتُمنَح الصدقة من الأجر كما تُعطى من غَلَّة الأرض، وتؤدى في السِّر كلما أمكن ذلك. والوصية بإعالة شخص معتوه وكسائه ومقابلته ومعاملته بود. ويُعطى اليتامى أموالهم أمام شهود حتى يكبروا، ويبلغوا سن الزواج والفهم وتحمُّل المسؤولية، ويُسْمَح فقط للوصي بالأكل من أموالهم.

١٣- شرائع المعاملات: من غير المسموح التعامل بالربا. وإن لم يستطع المَدِين سداد دينه، لا يُسمح بالتصادم معه. ويجب أن يُعطى عقد دين كتابة، ويأتي المَدِين أو ممثله ويقرأ التزامه بذلك، أمام شاهدين اثنين، أو شاهد واحد، وامرأتين حتى تُذَكِّر الواحدة الأخرى إذا نسيت، ويوصي الأطراف بكتابة ذلك الأمر في وثيقة، ويكتب فيها زمن السداد ومقدار المبلغ. وإذا كان المتاع أو المال يسلم من يد ليد، فكذلك الوثيقة. وكذلك يمكن الاكتفاء بالضمان، وبعد السداد يعود الضمان لصاحبه.

١٤- شرائع القَسَم واليمين: من المحظور والمُحَرَّم على المرء أن يشهد زوراً، أو يُقْسِم بالباطل، وإذا اقسم بالباطل أو حنث باليمين، عليه كسوة عشرة فقراء أو إعالتهم، أو عليه عتق رقبة، أو تحرير عبد أو دفع كفارة. ومن المحظور شرب الخمر، واللَّهْو بلعب الورق أو الكرة.

---

(٢٦٩) (المائدة ٥: ٩٥).

(٢٧٠) رقم الآية المُسْتَشهَد به ٢٦٣، في حين أن رقم الآية التي تشير إلى هذا المعنى هو ٢٦١، وهو ما أثبتناه في المتن. انظر في هذا الموضوع البقرة ٢: ٢٦٢- ٢٦٤.

١٥- شرائع الصلاة: ممنوع على السكران أن يُصَلِّي، وكذلك الخارج للتو من المِرْحاض أو المحتلم. ومن ينوي الصلاة أو يرغب في أدائها يجب عليه الوضوء بغسل يديه حتى الرسغَيْن، ومسح رأسه وقدميه حتى الركبتين. ويجب على القادم من الطريق أن يستحم أولاً. والمريض، أو القادم من حانة أو خَمَّارة، أو من ضاجع زوجته ولم يجد ماءً، عليه أن يتيمم، أي يمسح على يديه ووجهه من الخارج. ومُرَخَّص للمسافر أن يُقصِر صلاته. وفي وقت الحرب يمكن للمسلم أن يأخذ سلاحه في يديه ويصلي، ويُسمَح للمؤمنين فقط أن يدوسوا ويطئوا بأرجلهم في ساحات المسجد وأفنيته.

١٦- شرائع الحرب: من يبدأ بشنّ الحرب يجب مطاردته وقتله دون شفقة. ويجب الامتناع عن الحرب عند المسجد، أما إذا هاجم العدو مسلما بالمسجد، فإنه من المسموح للمسلم أيضاً أن يقتله هناك؛ وإذا تَعَلَّق بالإسلام يمكن أن ترحمه. ونجد الوصية بمطاردة العدو المُهاجَم والمعتدي في الشهر الحرام والمكان الحرام (البقرة ٢: ١٩٠- ١٩٤)[٢٧١]. وإنه من المحظور بوجه عام دخول الحرب في أربعة أشهر حُرُم، وهي الشهور الحرام: شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم.

١٧- شريعة احترام الوالدَيْن: احترم والدَيْك وتولّى إعالتهما في شيخوختهما، ولا تسبهما ولا تلعنهما. فلن تخرق الأرض ولن تصل لارتفاع الجبال[٢٧٢].

---

(٢٧١) رقم الآية المشار إليه في دائرة المعرف (البقرة ٢: ١٨٧)، وهذا غير صحيح، ولا يوافق السياق، ويبدو أن الآيات المقصودة هي ١٩٠- ١٩٤، وقد أثبتنا التصويب في المتن.

(٢٧٢) אוצר ישראל، עמ" 153 - 155. – انظر: سورة البقرة ٢: ٨٣؛ النساء ٤: ٣٦؛ الأنعام ٦: ١٥١؛ الإسراء ١٧: ٢٣- ٢٤.

تفسير القرآن الكريم

نشأ التفسير مبكراً في عصر النبي ﷺ الذي كان أول شارح لكتاب الله، يبين للناس ما نزل على قلبه. أما صحابته الكرام فما كانوا يجرؤون على تفسير القرآن الكريم وهو ﷺ بينهم يتحمل هذا العبء، ويؤديه على أحسن وجه، حتى إذا انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، تولى الصحابة بيان ما علموه، وتوضيح ما فهموه، فهم العلماء بكتاب الله، الواقفون على أسراره. والمفسرون من الصحابة كثيرون، إلا أن أشهرهم عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير(٢٧٣). وعن الصحابة والتابعين أخذ تابعو التابعين، فجمعوا أقوال من تقدمهم، وصنفوا التفاسير، على نحو ما فعله سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد بن حميد. ثم اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات مختلفة، فمنهم من انتهج "التفسير المأثور"، وهو امتداد للتفاسير المسندة إلى الصحابة والتابعين، ومنهم من انتهج "التفسير بالرأي". وممن اتبع منهج التفسير المأثور، ابن جرير الطبري، وابن كثير. أما التفسير بالرأي فقد اختلف العلماء حوله، فمنهم من حرَّمه، ومنهم من أجازه. واشهر من اتبع هذا المنهج الإمام فخر الدين الرازي، والبيضاوي، ومحمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي، وأبو البركات عبد الله النسفي، وعلاء الدين علي بن محمد البغدادي(٢٧٤).

وتقول "دائرة معارف كنز إسرائيل" إنه بعد موت محمد [ﷺ]، ظهر مفسرون كثيرون للقرآن، واجتهدوا في تفسير كل غامض فيه. وقد كان في ذلك الوقت ثلاثة من اليهود الذين كانوا قد أسلموا، وهم:

---

(٢٧٣) الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٨٩.

(٢٧٤) الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص ص ٢٩٠- ٢٩٣.

١- كعب الحكيم כעב החכם، وهو رباني في اليمن، أتى إلى المدينة، وانضم للدين الجديد، بعد موت مؤسسه (توفى عام ٣٢ للهجرة).

٢- وهب بن منبه והב בן מונעבבי، وهو يهودي يمني اقترب من محمد [ﷺ] (توفي عام ١١٠هـ).

٣- عبد الله بن عباس עבד אללה בן עבבאס، ابن أخي النبي [ﷺ]، الذي تتلمذ على يد كعب الحكيم، وتعلم على يديه خاصة الحكايات والأساطير المختلفة عن الأنبياء، من أجل أن يعرف جيداً ما ورد عنهم في التاريخ.

وتقول "دائرة معارف كنز إسرائيل" إن هؤلاء الثلاثة — الذين يُعَدُّون أعمدة التقليد الديني - كتبوا دون شك معظم شرائعهم في الكتاب، واغترف من كتبهم كل مفسري القرآن الأوائل، وكانوا مصدراً لآخرين. أما بالنسبة لمؤلفي كتب قصص حياة الأنبياء التي وصلت كتبهم إلى أيدينا، فقد اشتهر منهم عدد من العلماء العرب، من أهمهم على وجه الخصوص: فتُعطى الأهمية، على وجه الخصوص: محمد بن عبد الله الكسائي (توفي سنة ١٨٩هـ)، والثعلبي(توفي عام ٤٢٨هـ)، ونشر كتابه عدة مرات في بلدان الشرق؛ وكتبة تأريخ العصور مثل الطبري[٢٧٥]، واليعقوبي، .. الخ؛ وكتبة تاريخ البلدان مثل ياقوت (عاش في القرن السادس) .. الخ؛ الكتب العامة مثل القزويني .. الخ؛ ويعلوهم كلهم في التبجيل المفسرون الممتازون مثل: الزمخشري[٢٧٦] (توفي سنة ٥٣٨هـ)،

(٢٧٥) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٢٢٤- ٣١٠هـ)، صاحب كتاب *"تاريخ الأمم والملوك"*، و*"تاريخ الرُسُل والملوك"*، وتفسير الطبري: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن".

(٢٧٦) هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (٥٣٨ هـ)، صاحب تفسير: *"الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"*.

والبيضاوي[٢٧٧] (توفي سنة ٦٩٢هـ) .. الخ. وقد أضافوا على وجه الخصوص أحاديث النبي [ﷺ] التي قيلت في أي حدث وقع في حياته، بناءً على شهادة شهود العيان الذين استمعوا وشهدوا على حدوث ذلك، وهم الذين سمعوا مباشرة من فم النبي [ﷺ]. وقد انفردت عائشة زوجة النبي [ﷺ] بأحاديثه الكثيرة التي كان منها — حسب ما تدعيه دائرة المعارف - أحاديث زائفة وملفقة. وقد كانت أقوال الرسول [ﷺ] يستمع إليها المقربون الأوائل، مثل أبي بكر وعمر .. الخ، ومن أتى بعدهم، الذين سمعوها الواحد من فم الآخر. وقد وضع العالِم مالك بن أنس (ولد بالمدينة سنة ١٢٢، وتوفي سنة ١٩٤هـ) في كتابه "الموطأ" أكثر من ١٤٠٥ حديثاً من مثل هذه الأحاديث. وجمع البخاري (وُلِد سنة ١٩٤هـ) في كتابه الكبير "صحيح" ٧٢٧٥ حديثاً مثل هذه الأحاديث، وقد أورد كل حديث منها مع سلسلة طويلة من العلماء الذين قاموا بروايته ونقله جيلاً بعد جيل حتى يصل إلى محمد [ﷺ]. كذلك، هناك فرق كثيرة قامت في الإسلام في القرن الأول، حيث طاردت المرأة رفيقاتها بالسيف والدرع، ودمروا مدناً ومناطق وقبائل كاملة، وتغيرت أفكار الفرق بمرور الزمن، وتمايزت، وهو ما لم يرد عنه شيء في القرآن. وقد وجد رؤساء الفرق مكاناً لهم للظهور والبروز بأهوائهم وميولهم. وقد أورد القرآن على سبيل المثال، الإله مصوراً ومُجَسداً وله أطراف، وأيادٍ وأقدام، وينتعل حذاءً ذهبياً، وفوق رأسه شعر كثيف، وما إلى ذلك. ولا يتنازل أهل السُنَّة الأتقياء (بالعبرية "الأرثوذكس" المؤمنون ببساطة القرآن على النحو المكتوب فيه) عن أية فكرة من هذه الأفكار، في الوقت الذي فسَّر فيه المعتزلة (المعارضون) كل هذه الأمور على سبيل التشبيه وبتأويل رمزي. وقد أشار الأوائل إلى أن الإنسان ليس حراً في اختياره، وقرر المتأخرون حرية الاختيار؛

---

(٢٧٧) هو ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، (٦٨٥ هت٩، صاحب تفسير البيضاوي المسمى *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*".

وأشارت الفئة الأولى إلى أن القرآن لم يكن منذ الأزل في السماء السابعة حتى منحه محمد [ﷺ] لشعبه، وقال الأخيرون إن الكتاب مخلوق، وإنه يشمل كل وصايا الله التي انتشرت بواسطة تأثير النبي [ﷺ]. ومعظم القضايا والتساؤلات التي شغلت عقول علمائهم هي: وحدانية الله، وما إذا كان الحكم يُسَلَّم لآل علي [بن أبي طالب]، حمي محمد [ﷺ]، أم لأبناء عمر [بن الخطاب]، الخ. وكان مؤسس الفرقة الأولى هو صاحب الفضيلة والفخامة الحسن البصري (توفي في سنة ١١٠هـ)، وجاء بعده أبو حنيفة (توفي عام ١٥٠هـ) الخ. أما مؤسس الفرقة الثانية فهو واصل بن عطاء (توفي في سنة ١٥١هـ) الخ[٢٧٨].

وقد تناولت "دائرة المعارف العبرية" موضوع تفسير القرآن، فقالت إن أشهر المفسرين القدامى هو الطبري (توفي عام ٩٢٣م)، كما حظي تفسير الزمخشري (توفى عام ١١٤٤م) على نفوذ كبير، وكذلك الحال مع تفسير الرازي[٢٧٩] (توفى عام ١٢٠٩م)، والبيضاوي (توفى عام ١٢٨٦م تقريباً). وقد ظل القرآن يأخذ مكانه الرئيس في حياة المسلمين المتنورين، الصفوة منهم والفقراء والبسطاء على حدٍ سواء. كما يحاول كثير من علماء الدين الإسلامي إثبات أن التطور العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم اليوم لا يقلل أبداً من حقيقة الكتاب وصدقه[٢٨٠].

ترجمة القرآن الكريم

على الرغم أن القرآن الكريم قد تُرْجِم إلى عدد كبير من اللغات، إلا أننا سنركز هنا على الترجمات العبرية التي قام بها اليهود، وما ورد بشأنها في دوائر المعارف اليهودية.

---

(٢٧٨) אוצר ישראל، עמ' 156.

(٢٧٩) هو زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (حوالي ٦٦٦ هـ)، صاحب "تفسير الرازي" المسمى بـ*أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل*".

(٢٨٠) האנציקלופדיה העברית، עמ" 52.

ومن المعروف أن ترجمات القرآن الكريم قد تمت في معظمها على أيدي مستشرقين يدينون بغير الإسلام، مما أوقع البعض منهم في أخطاء إما عن عمد بسبب تعصب ديني، أو عن جهل وسوء فهم بسبب ترجمتهم لنص يختلف في لغته وأسلوبه وبلاغته عن أي نص عربي آخر. ويكاد ينفرد الاستشراق في بحوثه ودراساته عن الإسلام بظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الفكر ألا وهي ظاهرة التحريف. ويبدو أن من أهم الأسباب التي وضعت الإسلام هدفاً للتحريف، هو ارتباطه دينياً باليهودية والنصرانية، وكونه ديناً ناقداً لهما ومدعياً نسخه لهما وحلوله مكانهما بصفته خاتم الأديان وأكملها. ومن الجدير بالملاحظة أنه لا يوجد دين آخر تعرض لما تعرض له الإسلام على يد المستشرقين من هجوم ونقد ومحاولات تدمير وتشويه منذ ظهوره إلى يومنا الحالي[٢٨١].

ومما لاشك فيه أن الكلام عن ترجمة القرآن يعتبر من الأمور بالغة الأهمية، بل والخطيرة، حتى أن علماء المسلمين اختلفوا، بين مؤيد ومعارض، حول جدوى ترجمته وضرورتها ومدى الاحتياج لها. وتستمد هذه القضية خطورتها من الدقة التي يتميز بها القرآن وغموضه، مما جعل العلماء يختلفون فيه قديماً وحديثاً. ومع ذلك، فقد قام الكثير من الناس بنقل القرآن إلى لغات كثيرة، وترجمات متعددة، بلغت أكثر من مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة، وتكرر طبع هذه الترجمات عدة مرات. وتعتبر جميع هذه الترجمات ترجمات تفسيرية لا أكثر، وكان "روبرت الكيتوني" (Robert del Kiton) أول من ترجم القرآن إلى اللاتينية وذلك عام ١١٤٣ للميلاد[٢٨٢]. وأكثر هذه الترجمات طباعة وأوفرها هي الترجمات الإنجليزية فالفرنسية فالألمانية فالإيطالية. وهناك خمس ترجمات

(٢٨١) محمد خليفة حسن، *أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر*، (الرياض: نشر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٣٧٤.

(٢٨٢) ويكيبيديا الموسوعة الحرة Wikipedia, the free Encyclopedia,

* Accessed on 29, Aug. 2005 http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86

في كل من اللغتين الفارسية والتركية، وأربع ترجمات باللغة الصينية، وثلاث ترجمات باللاتينية، وترجمتان بالأفغانية، وترجمة واحدة بالجاوية، وأخرى بالأوردية. وإذا كان هناك من بين غير المسلمين الذين ترجموا القرآن الكريم، من يحمل عداوة وبغضاً وحقداً للإسلام، فإن منهم من يُكِنّ كل الحب والتقدير له، ولكن المشكلة ربما تكمن في جهله به وبالقرآن الذي ترجمه(٢٨٣). ومما لا شكّ فيه أن هذه الترجمات لم تسلم من الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها المترجمون، سواء كانت هذه الأخطاء عن جهل بمعنى النص الأصلي ومقاصده، أو عن عَمْد لغرض يضمره هذا المترجم أو ذاك.

وإذا كان المستشرقون قد تدخلوا في تفسير القرآن الكريم بهدف تحريفه من ناحية المعنى، فإنهم اتجهوا إلى مجال الترجمة فعكفوا على ترجمة القرآن الكريم ترجمات غير دقيقة ومحرفة إلى لغاتهم المتعددة. وكان تأثير الترجمات ضاراً بالقارئ الغربي للقرآن الكريم مترجماً، وهذا هدف مقصود في حد ذاته وذلك لإبعاد القارئ الغربي عن الإسلام، وتنفيره منه، وتصويره في صورة الدين المحرف عن اليهودية والنصرانية. وقد تلاعب المستشرقون أحياناً في الطبعات التي أصدروها للقرآن الكريم وذلك بحذف بعض الآيات والسور منه، أو بتعمد تغيير ترتيب السور والآيات، أو باختراع أسماء مختلفة للسور القرآنية، أو بابتداع قراءة مختلفة يستبدل فيها كلمة بأخرى من عنده، أو بتقديم كلمة على أخرى دون فهم لمغزى التقديم والتأخير في الآيات، أو غير ذلك من الوسائل التي اتبعها المستشرقون(٢٨٤).

ومعنى الترجمة في اللغة هو نقل الكلام من لغة إلى أخرى، أو التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده. ومعنى الترجمة

(٢٨٣) الحفناوي، *دراسات في القرآن الكريم*، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص ٧٣.

(٢٨٤) حسن، *أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر*، ص ٣٨١- ٣٨٢.

الحرفية للقرآن بالمثل هي أن يُتَرْجَم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه تماماً، بحيث تحل مفردات الترجمة محلّ مفرداته، وأسلوبها محلّ أسلوبه، حتى تتحمل الترجمة ما يحمله نظم الأصل من المعاني البلاغية وأحكامها التشريعية. ويرى البعض أن الترجمة الحرفية للقرآن لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في تحصيل كل ما يقصد منه، وأن المترجم قد يهدر النظم القرآني، ويُخِلَ بمعناه، وينتهك حرمة القرآن، ويذهب هؤلاء إلى القول بأنه لا توجد أية ضرورة تدعو إلى ترجمة القرآن(٢٨٥). ويميل أصحاب هذا الرأي إلى عدم جواز ترجمة القرآن، وتذرعوا بأنه لا فائدة تُرجَى منها، وأثاروا الشبهات حولها.

وهناك من أجاز ترجمة معاني القرآن الكريم، أو ترجمة تفسير القرآن الكريم، ورأى أصحاب هذا الرأي أن ذلك من شأنه أن يُظهِر جمال القرآن ومحاسنه لغير الناطقين بالعربية من المسلمين الأعاجم، ويساعد على فهمه وتوصيل رسالته إلى غير المسلمين. وربما ساعدت الترجمة في دفع الشبهات التي لفقها أعداء الإسلام، وألصقوها بالقرآن وتفسيره في ترجماتهم، وضللوا بها المسلمين الأعاجم، غير الناطقين بالعربية. فضلاً على أن ترجمة لقرآن الكريم على أيدي المسلمين هي آلية من آليات تبليغ القرآن بلفظه ومعناه، وهو واجب على كل مسلم(٢٨٦).

وقد اهتم المستشرقون اليهود بترجمة القرآن الكريم، وظهرت بعض الترجمات العبرية على فترات متباعدة بعض الشيء(٢٨٧). فعندما ازدهر عصر الاستشراق الغربي

---

(٢٨٥) الحفناوي، *دراسات في القرآن الكريم*، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ص ٧٤- ٧٨.

(٢٨٦) شحاته، علوم القرآن، ص ٢٦٩.

(٢٨٧) عامر الزناتي الجابري عامر، إشكالية الترجمة لأوجه بلاغية في الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم - دراسة نقدية، *بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه* (القاهرة: كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م)، ص ٢- ٧.

جاءت أولى محاولات ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة كاملة إلى اللغة العبرية في القرن السادس عشر، وقام بها الحاخام "يعقوب يعقوب هاليفي بن إسرائيل" وهو من "سالونيكا". وما تزال هذه الترجمة مخطوط حتى الآن، ولم تُطْبَع. ولم تُنقَل هذه الترجمة عن الأصل العربي، بل عن لغة وسيطة هي اللغة الإيطالية. وذلك نقلاً عن الترجمة الأولى لمعاني القرآن الكريم والتي قام بها "أندريه أريفابيني" (A. Arrivabene)، والتي صدرت في "فينيسيا" عام ١٥٤٧م. والتي كانت بدورها منقولة عن الترجمة اللاتينية التي قام بها "روبرت الكيتوني" و"هرمانوس" الألماني والتي تمت عام ١١٤٣م في الأندلس، وقد نُشِرَت للمرة الأولى عام ١٥٤٣م في بال بسويسرا. وهذه الترجمة العبرية التي توجد منها ثلاث نسخ، الأولى بمكتبة البودليان بأكسفورد، والثانية بالمتحف البريطاني، والثالثة بمكتبة الكونجرس بواشنطن. وقد اختلفت الآراء حول هذه الترجمة وحول اللغة التي نُقِلَت عنها هذه النسخ.

وأما الترجمة الثانية الكاملة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية فهي ترجمة المستشرق الألماني اليهودي "تسفي حاييم هيرمان ريكندورف"، وقد صدرت بعنوان: "القرآن أو المِقْرا مُتَرجَم من اللغة العربية إلى اللغة العبرية ومُفَسَّر"، في "ليبزج" سنة ١٨٥٧م[٢٨٨]. وهي أول ترجمة مطبوعة لمعاني القرآن الكريم. وترجع أهمية هذه الترجمة إلى أنها اعتمدت على الأصل العربي مباشرة.

وأما الترجمة الثانية الكاملة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، فصدرت في تل أبيب عام ١٩٣٣م، وقام بها المستشرق اليهودي "يوسف يوئيل ريفلين" وصدرت

(٢٨٨) רקנדורף (צבי חיים הרמן)، אלקוראן או המקרא נעתק מלשון ערבית ללשון עברית ומבואר، ליפסג، 1857.

بعنوان "القرآن – ترجمة من العربية"، عن دار نشر "دبير"[(٢٨٩)]. ثم صدرت طبعتها الثانية عام ١٩٣٦م، ثم الثالثة عام ١٩٧٢م، والرابعة عام ١٩٨٧م[(٢٩٠)]. وهي ترجمة مضبوطة بالحركات.

وأما الترجمة العبرية الثالثة لمعاني القرآن الكريم فهي ترجمة المستشرق الإسرائيلي "أهارون بن شمش"، وقد صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧١م، عن دار نشر "ماسادا" في رامات جان بالقدس، بعنوان "القرآن المقدس- الكتاب المقدس للإسلام، مترجم من العربية"[(٢٩١)]. ثم صدرت الطبعة الثانية منها عام ١٩٧٨م، وهي طبعة منقحة، صدرت عن دار نشر "قرني" (ספרים קרני) تل أبيب.

أما الترجمة العبرية الرابعة الكاملة للقرآن الكريم، فلم يرد أي ذِكر لها في دوائر المعارف التي أخضعتها لهذا البحث، وذلك لأنها صدرت في النصف الأول من عام ٢٠٠٥م. وهي ترجمة حديثة للقرآن، باللغة العبرية، تُرجِمَت عن النص العربي للقرآن الكريم، وأنجزها أستاذ جامعي إسرائيلي هو أوري روبين (Uri Rubin)، الأستاذ في جامعة تل أبيب، قسم الدراسات العربية والإسلامية، وهو متخصص في فترة صدر الإسلام، مع اهتمام خاص بالقرآن الكريم وتفسيره، والسيرة النبوية والحديث الشريف.

وتقول "دائرة المعارف العبرية" إن القرآن قد ترجم في فترة العصور الوسطى عدة ترجمات: فظهرت الترجمة الفارسية في القرن العاشر الميلادي، والترجمة التركية في

---

(٢٨٩) ריבלין (יוסף יואל)، אלקוראן – תרגום מערבית، הוצאת דביר، תל- אביב، תרצ"ג (1933).

(٢٩٠) האנציקלופדיה העברית، עמ" 52 ؛ Encyclopaedia Judaica, Col. 1199.

(٢٩١) אהרון בן שמש، הקוראן – ספר הספרים של האשלאם תרגום מערביתת (ירושלים، הוצאת מסדה، 1971); האנציקלופדיה העברית، עמ" 52 ؛ Encyclopaedia Judaica, Col. 1199.

القرن الحادي عشر، إلا أن هذه الترجمات قد أهملت بسبب تشدُّد بعض الجماعات التي لم تكن ترغب في ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية. وقد تغير هذا الموقف، خاصة، في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، ولذلك توجد الآن العديد من الترجمات للقرآن، حيث تُرجِم إلى معظم اللغات المنتشرة في العالم الإسلامي، كما ترجم إلى كثير من اللغات الأوربية. وكذلك توجد ترجمة لاتينية للقرآن ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وأخرى إيطالية ظهرت في القرن السادس عشر؛ كما ظهرت ترجمة ألمانية في القرن السابع عشر الميلادي، وترجمات أخرى فرنسية، وهولندية، وإنجليزية. كما توجد إشارات للقرآن في الأدب اليهودي في العصور الوسطى، كذلك، كان يُقتبس منه أحياناً اقتباسات حرفية؛ إلا أنه لم يكن هناك ترجمة عبرية للقرآن. وقد تمت ترجمة القرآن للعبرية من النسخة الإيطالية، وكان ذلك في فينسيا سنة ١٥٤٧م. أما الترجمة المباشرة من العربية إلى العبرية فقد تمت للمرة الأولى على يد المستشرق الألماني "ص. هـ. ريكندورف"[٢٩٢]، سنة ١٨٥٧م، ثم ترجم بعده "ي.ريفلين"[٢٩٣] (القرآن ١٩٣٦م، [تقريباً ترجمة حرفية])، و ترجم بعده "أ. بن شمش"[٢٩٤] (القرآن المقدس، سنة ١٩٧١م، [ترجمة حرة])[٢٩٥].

وتقول "دائرة المعارف اليهودية" إن الترجمات العبرية للقرآن لم تكن معروفة، وربما كانت هناك أوراق قديمة أو كسرات من هذه الترجمات مدفونة في الجنيزات

(٢٩٢) צ. ה. רֶקֶנדורף، אלקוראן או המקרא נעתק מלשון ערבית ללשון עברית ומבואר، תרי"ז.

(٢٩٣) י. ריבלין، אלקראן، תרצ"ג، תרצו [תרגום כמעט מילולי].

(٢٩٤) א. בן- שמש، הקראן הקדוש، 1971 [תרגום חפשי].

(٢٩٥) האנציקלופדיה העברית، עמ" 52.

الشرقية(٢٩٦). قبل أن تُتَرجَم مثل هذه الترجمات، وكان نقل النص العربي إلى الحروف العبرية يفي بالغرض ويُعَدّ كافياً. وتوجد أجزاء من هذا النص، المكتوب بحروف عبرية، في مخطوطة البودليان رقم ١٢٢١ [Bodleian Manuscript No. 1221 (= Hunt No. 529)]، التي نجد فيها الأجزاء الأولى مزودة بعلامات ترقيم على نحو مطّرد؛ وتوجد على الهامش ترجمات عبرية لبعض الفقرات وإحالات إلى الكتاب المقدس وأدب الهَجَّادَاه؛

(٢٩٦) ويقصد بها أوراق "الجنيزا"(הַגְּנִיזָה) التي وجدت في المعابد اليهودية أو في مدافن اليهود بصفة عامة في منطقة الشرق الأوسط، واشهر هذه الجينيزات، جنيزا القاهرة، وأهمها ما وُجد في معبد بن عزرا الخاص باليهود الربانيين الأورشليميين في الفسطاط. وقد احتوت الجنيزا على الوثائق والكتابات اليهودية التي يقدسها اليهود، والتي يُفتَرض ورود اسم الرب في ثناياها، مما جعلهم يحفظونها بطريقة خاصة خشية أن تُدنَّس، أو تُنْتَهَك حرمتها نتيجة سوء الاستعمال أو الإهمال. ويبدو أن اليهود قد اعتادوا منذ العصر الوسيط على كنز جميع أنواع المواد المخطوطة أو المطبوعة، واقتصر ذلك على حفظ الكتابات ذات الطابع الديني، أو التي تحمل اسم الرب، إلا أنه امتد ليشمل الكتابات غير الدينية، والأدوات المقدسة التي تستخدم في الطقوس الدينية، والكتب المشكوك في صحتها، والكتب التي لا يقرها رجال الدين اليهودي والتي لم ينصوا بحرقها، بل إنه عُثِر في الجنيزا على كتابات من الأدب غير اليهودي أيضاً، وخصوصاً بعض مؤلفات المسلمين التي كُتِب بعضها بالأحرف العربية، وبعضها الآخر بالأحرف العبرية. انظر: مارك كوهن، المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش (تل أبيب: مكتبة لقاء، المعهد اليهودي العربي، جامعة تل أبيب، ١٩٨٧م)، ص ص ٩١، ٩٦-٩٧؛ עיין: ש. ד. גויטיין, "חיי אבותינו לאור כתבי הגניזה", מאמר ב: (תעודה א, חקרי גניזת קהיר, אוניברסיטת תל- אביב, תש"ם), עמ' 7.

والمخطوطة مكتوبة بخط أسباني رباني حديث[٢٩٧]. كسرات إضافية من مثل هذه المخطوطات موجودة في مكتبات (Deutsche Morgenländische Gesellschaft)، وفي الفاتيكان، وفي "بيت ها مِدراش" في فيينا. ويُذكَر ضمن قائمة بائع كتب وردت في دورية "جيويش كوارتر ريفيو"[٢٩٨] (J. Q. R." xv. 77")، مجلد يحتوي على التوراة، والترجوم، والقرآن، وقد وُضِعوا معاً في هذا المجلد. وقام "يعقوب بن إسرائيل هاليفي" بترجمة القرآن

(٢٩٧) هناك عدد من الخطوط التي كُتِبت بها المخطوطات العبرية، والتي يألفها ويعرف صورتها كل خبير بهذه المخطوطات. ومن هذه الخطوط ما يُعْرَف بالخط "الأسباني الرباني الحديث = = (Modern Spanish Rabbinical Script) "، و"الرباني" نسبة إلى الربانيين. وهناك خط يدوي يُعرف باسم "السرياني الرباني (Syriac Rabbanic Character) "، وخط يُعرف بالخط القرائي الرباني (Qaraitic Rabbanic Character)، و"القرائي" هنا نسبة إلى القرائين. وهناك خط يدوي سريع يعرف بالخط السرياني ذي الحروف المتصلة (Syriac Cursive Character). ولمعرفة المزيد عن هذه الخطوط، والتعرف على صورتها وشكلها، انظر: محمد الهواري، " التأثير الإسلامي في أوراق الجنيزا في ضوء قراءة مخطوطة"، (أبحاث ندوة التأثيرات العربية في اللغة العبرية والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور، ٢٦- ٢٧ ديسمبر ١٩٩٢م، كلية الآداب- جامعة عين شمس، القاهرة: دار الزهراء للنشر)، ص ص ١٢١- ١٨٨ ؛ محمد الهواري، تفسير الوصايا العشر في المخطوطات العربية اليهودية، تحقيق وتعليق ودراسة (القاهرة: دار الزهراء للنشر، ١٤١٤هج- ١٩٩٣م) ؛ محمد الهواري، الاختلافات بين القرائين والربانيين ؛ الاختلافات بين القرائين، مفردات طبية من الجنيزا القاهرية- قراءة جديدة لمخطوطة بودليان أكسفورد رقم [MS.Heb.e.74 (fols.66-69)] (القاهرة: دار الزهراء ١٤١٥هج- ١٩٩٤م؛ محمد الهواري، "السيد المسيح في أوراق الجنيزا - قراءة في مخطوطة بودليان أكسفورد رقم [MS.Heb.d.68 (fols.21-22)]" ، (رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية بكلية الآداب، جامعة القاهرة ، المجلد ٣- ٤ ، العدد ٢/١٩٩٤- العدد١/١٩٩٥م، القاهرة، ١٩٩٦م)، ص ص١٥٣- ٢٠٠.

(٢٩٨) Jewish Quarter Review, xv. 77

من اللاتينية إلى العبرية في القرن السابع عشر، وهو رباي زانتيه Zante (توفي سنة ١٦٣٤م). وفي الأزمنة الحديثة، ترجم "هيرمان ريكندورف" القرآن (١٨٥٧م). وكانت قد تُرْجِمَت سورة المعَارج (رقم ٧٠) إلى الأسبانية في القرن الثالث عشر، بأمر الفونسو العاشر، بواسطة طبيب طليطلة، "دون أبراهام" (Don Abraham)، وعولِجَت هذه الترجمة بالفرنسية فيما بعد بواسطة بونافنتورا دى سيف (Bonaventura de Seve). وكانت توجَد أحياناً في الكتابات العبرية اقتباسات وشواهد من القرآن، سواء لأغراض جدلية أو في ترجمات من العربية (على سبيل المثال، في تلك الكتابات التي كتبها سعديا وهاي جاءون). ويستشهد شمعون دوران (Simon Duran) (١٤٢٣م)، في نقده للقرآن، ولكنه يخلط هذه الاقتباسات والشواهد مع اقتباسات أخرى أخذها من كتب السُنَّة، وربما يكون قد أخذها من ترجمات أعمال ابن رُشْد. وفي بعض الأعمال المترجمة عن العربية، كانت تُستَبدل أحياناً الاقتباسات والشواهد المأخوذة من القرآن، باقتباسات مأخوذة من الكتاب المقدس(٢٩٩).

وتقول "دائرة المعارف اليهودية جودايكا"(٣٠٠) إن اللوم المذكور في القرآن مرات عديدة (في مثل سورة النحل ١٦: ١٠٥؛ الفرقان ٢٥: ٥- ٧) والذي يؤكد على أن محمداً [ﷺ] لم يصنع كتابه بنفسه، قد تسبب في وجود خرافات في زمن مبكر في الدوائر المسيحية واليهودية، التي وفقاً لها يكون المسيحيون واليهود على التعاقب هم الذين كتبوا بالفعل القرآن لمحمد [ﷺ]. وتوجد في كتابات المؤلفين اليهود، على نحو متكرر وبصورة لم تنقطع، إشارات إلى القرآن، واقتباسات منه، وذلك – على سبيل المثال- في كتابات سعديا جاءون، وهاي جاءون، ونسيم بن يعقوب من القيروان، ويونا بن جناح، ويهودا

(٢٩٩) The Jewish Encyclopedia, P. 560.

(٣٠٠) Encyclopaedia Judaica, Col. 1199.

بن قريش، ويهودا بن بلعام، وإسحق بن بارون، ونتانئيل الفيومي، وموسى بن عزرا. حتى أن الكتاب اليهودي العصر وسيطي، الذي يحتوي على أكبر عدد من الاقتباسات القرآنية، وهو الرسالة الجدلية تأليف شِمْعون بن تسيمح، قد اعتمد بشكل أساسي على الترجمة العبرية لكتابين إسلاميين عن الجدل والدفاع الكلامي. إن الجدل اليهودي ضد القرآن عموماً لا يمكن فصله عن أعمال الجدل التي وُجِّهَت ضد الإسلام ككل. وعلى نحو مختلف عن الكتاب المقدس، لم يُقَدَّم القرآن أبداً لأتباعه في ترجمة مُرَخَّص بها، وبالتالي فإنه من غير المرغوب فيه وجود ترجمة عبرية للقرآن في الوسط الثقافي الإسلامي. من ناحية أخرى، توجَد نسخ عديدة من الأصل العربي، مكتوبة بحروف عبرية، والتي من المرجح أن تكون قد صُنِّفَت لأغراض جدلية. وأول ترجمة عبرية كاملة ومعروفة للقرآن، يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، وهي في الحقيقة مترجمة عن طبعة إيطالية (فينسيا، ١٥٤٧م). والترجمة التي كتبها يعقوب ليفي بن إسرائيل، والتي يُنظر إليها الآن على أنها مترجمة عن اللاتينية، هي متطابقة على نحو واضح. وقام ريكندورف بترجمة القرآن من العربية مباشرة إلى العبرية (ليبزج ١٨٥٧م)، ثم جاء بعده ريفلين وترجمه (القدس ١٩٣٦ وما بعدها)[٣٠١].

الخاتمـــة

مما لا ريب فيه أن الدراسات الاستشراقية حول الإسلام قد اتسمت بنزعة عدائية حاقدة. فقد أدت الأكاذيب الملفقة حول الإسلام وحول الرسول [ﷺ] إلى تكوين صورة نمطية للإسلام ورسوله [ﷺ] لا علاقة لها بواقع الدين الإسلامي. لقد ركز المستشرقون في كتاباتهم على تصوير الإسلام وكأنه نسخة مشوهة لما هو موجود في كتب اليهود

(٣٠١) Encyclopaedia Judaica, Col. 1199.

والنصارى، وهم يكررون أكاذيبهم وافتراءاتهم بشتى الطرق والوسائل المتاحة، متبعين في ذلك أسلوب التشكيك في العقيدة الإسلامية لدفع المسلمين إلى ترك الإسلام، بغض النظر عن دخولهم في النصرانية أو غيرها.

لقد حرص المستشرقون قديماً وحديثاً على إثارة الشُبَه في الوحي، فزعموا أن القرآن الكريم من عند محمد ﷺ، ابتكر معانيه، وصاغ أسلوبه، وليس وحياً يُوحى. وزعم المستشرقون قديما وحديثاً أنه ﷺ كان له من حِدَة الذكاء، ونفاذ البصيرة وصفاء النفس، ما يجعله يدرك مقاييس الخير والشر، ويتعرف على خفايا الأمور، وبناءً على ذلك، ذهبوا إلى أن القرآن لا يخرج عن أن يكون أثراً للاستنباط العقلي، والإدراك الوجداني عبَّر عنه محمد ﷺ بأسلوبه وبيانه. وزعموا أن محمداً ﷺ قد تلقى العلوم القرآنية على يد مُعَلِّم من غير قومه. والواقع أن مثل هذه الدعاوى لا تستند على أي دليل في التاريخ يشهد بأنه ﷺ لقي أحداً من العلماء، حدَّثه عن الدين قبل إعلان نبوَّتِه. وزعم المستشرقون أن محمداً ﷺ نقل عن التوراة والإنجيل وأساطير الأولين، وهذه تهمة واهية مردود عليها، ومفندة من عهد الرسول الكريم ﷺ، على أيدي معاصريه من اليهود والنصارى. فلو أن هذا بالفعل قد حدث، فما الذي منع معانديه وأضداده من معاصريه أن يؤلفوا قرآناً مثله، ولا سيما وأن القرآن تحداهم المرة تلو الأخرى، بأن يأتوا بسورة من مثله.

توصيات

يجب علينا إدراك مدى خطورة ترك الساحة للمراكز البحثية المنتشرة في دول أوروبا وأمريكا خاصة، وللمؤسسات المسيحية واليهودية ذات الصبغة الدينية اللاهوتية، التي تعمدت تشويه صورة الإسلام ورسوله الكريم، بشتى الوسائل، فسَخَّرَت جميع الإمكانيات واستخدمت وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وقامت بعقد

الندوات والمؤتمرات، ونشرت العديد من المقالات والأبحاث والكتب والمجلدات ودوائر المعارف والموسوعات، وساهمت في تمويلها ونشرها وتوزيعها على أوسع نطاق. لذا نوصي بما يلي:

١- الاهتمام والإسراع بإنجاز ترجمة عبرية للقرآن الكريم، يقوم بها مترجمون مسلمون، بعد أن تأخرنا كثيراً في عمل ذلك، وتركنا الساحة للترجمات العبرية التي ترجمها مترجمون يهود، وعُنيت بنشرها وتوزيعها مؤسسات يهودية على نطاق واسع.

٢- رصد جميع الندوات والمؤتمرات التي تُعقَد في جميع أنحاء العالم، خاصة تلك التي تُعقَد خارج العالم الإسلامي، والتي ترعاها وتصرف عليها مؤسسات غير إسلامية، والحرص على المشاركة فيها بأبحاث علمية، تُصحح الصورة النمطية التي انطبعت في أذهان غير المسلمين عن الإسلام، والمشاركة الفاعلة في المداخلات والتعليقات التي تعقب إلقاء أبحاث المشاركين في هذه الندوات والمؤتمرات، للرد على ما قد تتضمنه الأوراق المقدمة من أفكار ورؤى تشوه صورة الإسلام، عن عمد أو جهل.

٣- متابعة حركة النشر في العالم، وبصفة خاصة، ما يُنْشَر من كتابات عن الإسلام بجميع اللغات، سواء كان في هيئة مقال أو بحث أو كتاب أو دوائر معارف أو موسوعات، والعمل على ترجمتها إلى العربية في أقرب وقت بعد ظهورها، والتعليق عليها، وتصويب ما ورد فيها من أخطاء أو أكاذيب وافتراءات، ونشرها باللغة التي كُتِبَت بها في الأصل، في سبيل تصحيح الصورة. ولا يكفي ترجمة مثل هذه الأعمال فقط إلى العربية، ولكن الأهم هو العمل عل إيصال رؤيتنا وصورة الإسلام الصحيحة إلى الآخر الذي دأب على تشويه الصورة عن عمد أو — ربما - بسبب جهله.

٤- إنشاء مركز إسلامي متخصص في الدراسات العبرية واليهودية دون خوف أو حساسية، شريطة أن يتفرغ له تماماً عدد من العلماء والباحثين المتخصصين، تكون مهمته

عقد المؤتمرات والندوات المتخصصة، ورعاية الباحثين المهتمين بالدراسات اليهودية والمسيحية التي تقدم الإسلام لغير المسلمين في صورة غير صحيحة. ويكون من مهام هذا المركز أيضاً، ترجمة ما يُنشر في خارج العالم الإسلامي، والرد على الافتراءات وتصويب المعلومات المغلوطة في أذهان المستشرقين ورجال الدين المسيحي واليهودي المتعصبين، والاهتمام بدراسات العهدين القديم والجديد (الكتاب المقدس)، وكذلك التلمود (المِشْنا والجِمَارا)، وكتب المِدْراشيم اليهودية، والعمل على ترجمة التلمود، خاصة وأن معظم ما نُطلق عليه "إسرائيليات" قد تسرب إلى كتب التراث الإسلامي من التلمود، وليس من العهد القديم.

The HOLY kORAN in the Jewish Encyclopedias

Mohamed Hawary
Professor of Hebrew Studies, Dept. of Arabic Language and Literature,
College of Arts, King Saud university, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. Orientalists paid great attention to the Koran, about which they wrote many books for various purposes; a minority of them were objective, while the majority were prejudicial.
There are different Jewish Encyclopaedias, written in Hebrew and other languages, by Jews and non Jews, which present the results of the Orientalist studies about the Koran.
Because of the importance given to the Encyclopaedias in academic circles both in the West and the East, and due to their wide circulation among researchers in different fields of Jewish studies in particular and religious studies in general, the revision of their contents and the correction of the shocking errors made in This article deals with the "KORAN" in five Jewish Encyclopaedias (3 in English & 2 in Hebrew):

1- *Ha- Encyclopedia ha-Ivrit* (Encyclopedia Hebraica). (In Hebrew).
2- *'OTSAR YISRAEL*. An encyclopedia of all matters concerning Jews and Judaism. (In Hebrew).
3- Encyclopaedia Judaica.
4- The Universal Jewish Encyclopedia
5- The Jewish Encyclopedia.

The entry of the "Koran" in these Encyclopedias consists of various subjects such as: the Form of Revelation, and the Life of the Prophet Muhammad (PBUH), Allah and Creation, Last Judgment; Resurrection, Hell and Paradise, the Prophets who are mentioned in the Koran and their stories, Old and New Testament Stories, and Hebrew Translations of the Koran.